حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com
دورية تصدر كل شهرين
السنة السادسة عشرة / (سبتمبر - أكتوبر) ٢٠٢٠
80
Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary |September - October 2020

الدروب الوعرة

هيَ الروحُ تسْعى إلى الخلدِ صبْرًا
فلا تخشَ دربًا من الخوفِ وعْرا
هناك السعادةُ تبْقى، ويبْقى
ربيعٌ يطلُّ على الكونِ زهْرا
هناك النسيمُ يهُبُّ جميلاً
إلى الناسِ يُهْدي المحبةَ عطْرا
وعينُ المياهِ تردِّدُ لحْنًا
فيبعثُ في الروحِ بشْرًا وسِحْرا

***

٢ ترميم حصون القلب **فتح الله كولن**
٩ تطور التقنيات الذكية ومستقبل البشرية/ **أ.د. نبيل سليم**
٣٨ الرقمية في التعليم ورهان الجودة/ **سعيد سهمي**

حراء تحتفي بعامها الجديد

قبل ستة عشر عامًا تَولَّد فجر جديد، ليحمل مع انشقاق أنواره الأولى أملاً بغدٍ مشرق مفعم بروح إيمانية متجددة، واستبشارًا واستئناسًا بغار حراء الذي شهد اللبنات الأولى لعودة الاتصال بين السماء والأرض، ولإرواء أرواح الأنفس.. سُمِّي هذا الفجر الجديد بـ"حراء"، وحمل القائمون عليه على عاتقهم أمانة أن تواصل حراء -بعون الله- حمل ذلك الميراث الثقيل، وأن تضطلع بأداء تلك الوظيفة التي أبت حملها السماء والأرض والجبال الرواسي. لقد هيأ الله لـ"حراء" (المجلة) ثلة من الكتَّاب من مختلف الجنسيات واللغات، يجيدون فن الكتابة، ويتمتعون برؤية فكرية إصلاحية تعمل على الأخذ بيد الإنسانية.. وفي مقدمة هؤلاء يأتي الأستاذ فتح الله كولن كاتب المقال الرئيس من كل عدد، والذي عنون مقاله في هذا العدد بـ"ترميم حصون القلب"، حيث أكد فيه على ضرورة اختيارنا طريق التعمير والإصلاح والأخوة وإحياء الآخرين في الحياة الدنيا، باتكالٍ على الله حتى وإن تعرضنا في سبيل هذا للتهديد والتنكيل، متخلّين عن متع الحياة ولذائذها من أجل خلاص الإنسانية ونجاتها.

وفي باب القضايا الفكرية يشرح لنا الدكتور بنعيسى النية في مقاله "الحوار من أجل التعايش" العلاقة المتينة بين الحوار والتفاعل الحضاري من خلال كتاب "الحوار من أجل التعايش" للدكتور عبد العزيز التويجري، الذي أكّد فيه أن التسامح والانفتاح على الثقافات والحضارات، والحوار معها، والتعايش مع الأمم والشعوب الأخرى، سينتج عنه وحدة إنسانية قاسمها المشترك هو التآخي والتراحم والمحبة والصدق والمنفعة العامة.

ولأن حراء واحة غنَّاء يجد فيها القارئ من كل بستان علمي زهرة، ففي باب العلوم يطالعنا الأستاذ مجدي إبراهيم من خلال مقاله "خطر يهدد العالم" على السكتة الدماغية، فيشرح كفية إصابة الإنسان بالسكتة الدماغية، وأهم أعراضها الشائعة، وسبل الوقاية والعلاج منها.

أما كاتبنا الأستاذ الدكتور ناصر أحمد سنه، فيحدثنا في مقال هذا العدد المعنون بـ"جرائم النيام" عن ظاهرة المشي في أثناء النوم، والتي تنتاب بعض الناس وترافقهم طيلة الحياة، مما تؤدي في بعض الأحيان إلى قيام النائم بجريمة بلا وعي.

ولبيان خطأ ما يعتقد البعض من أن الكلمات والجمل تمثّل الجزء الأكبر والأساسي من طرق تواصل الأفراد فيما بينهم، أكّد الأستاذ خلف أحمد أبو زيد في مقاله "لغة الجسد في تحقيق التواصل الإنساني"، أن العديد من الدراسات والأبحاث تشير إلى أن الكلمات والجمل لا تمثّل سوى ٧٪ من طُرق تواصلنا مع العالم المحيط بنا.

هذا إلى جانب مجموعة من المقالات العلمية والفكرية والحضارية والتربوية، التي يكتمل بها بستان حراء في هذا العدد، الذي نسأل الله أن يكون إضافة قوية في تشكيل وعي قرائنا الأفاضل. والله ولي التوفيق. ■

المحتويات

ترميم حصون القلب / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
لماذا نشعر بالحكة؟ / د. فاطمة كوندز (علوم)	٦
تطور التقنيات الذكية ومستقبل البشرية / أ.د. نبيل سليم (علوم)	٩
الحوار من أجل التعايش / د. بنعيسى النية (تحليل كتاب)	١٣
النظرية التربوية عند طه عبد الرحمن / حمزة بومليك (قضايا فكرية)	١٧
خطر يهدد العالم! / مجدي إبراهيم (علوم)	٢١
ابن رشد من الظواهر الإنسانية إلى الحداثة / د. بركات محمد مراد (تاريخ وحضارة)	٢٤
العمل الخيري والتنمية الاقتصادية / د. عبد الكريم بناني (ثقافة وفن)	٢٨
جرائم النيام / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٣٢
الليالي السعيدة / فتح الله كولن (قطوف)	٣٦
الرقمية في التعليم ورهان الجودة / سعيد سهمي (علوم)	٣٨
لغة الجسد في تحقيق التواصل الإنساني / خلف أحمد أبو زيد (ثقافة وفن)	٤٢
من هنا تبدأ الحياة / سمر فتحي السيد (قصة)	٤٥
أين توجد الحاسة السادسة؟ / د. محمد السقا عيد (علوم)	٤٨
ماذا تعرف عن النحل العملاق؟ / د. يحي وزيري (علوم)	٥٢
خلجات قلب / عبد القادر جابر (شعر)	٥٦
التربية العمرانية وصناعة الإنسان / د. أحمد البوكيلي (قضايا فكرية)	٥٧
جامع ومدرسة السلطان حسن رمز التسامح والإخاء / عائشة صابر المشرفي (تاريخ وحضارة)	٦١

ترميم حصون القلب

من المسلّم به عند الجميع أن التعمير أصعب من التخريب والهدم بألف مرة؛ إذ يجب لبناء أيّ شيء أو تعميره، أن تتوافر كلُّ أجزائه وعناصره الداخلية والخارجية.. أما الهدم فيتكفل به انعدامُ أحد تلك العناصر الضرورية، ومن ذلك -على سبيل المثال- الصلاة، إذ يجب أن تستوفي جميع الشروط والأركان اللازمة لأدائها أداء صحيحًا، بحيث تبطل الصلاة إذا ما أُهمل واحد منها؛ فلا تصح الصلاة إن لم يكن

المصلي متوضئًا، أو لم يأت بتكبيرة الإحرام، أو لم يستقبل القبلة حتى وإن وفَّى بمعظم أركانها وشروطها.. فقبول الصلاة عند الله تعالى ومؤانستُها للإنسان في قبره ونفعُها إيَّاه يومَ القيامة، مرهونٌ أيضًا بمراعاة أركانها الداخلية، أي الخضوع والخشوع، فحدوث أي خلل فيهما يحولُ دون قبولها عند الله حتى وإن استوفت شروطها وأركانها الخارجية والظاهرية.. والأمر كذلك بالنسبة لغيرها من العبادات والطاعات.

البناء والترميم

ويمكنكم أن تُقيّموا عملية إنشاء مبنىً أو ترميمه على النحو نفسه، تخيلوا أن المعماري العبقري العظيم "سنان"، بنى جامع "السليمية" في مدة قصيرة بلغت حوالي ست سنوات، بينما أعمالُ الترميم التي بدأت من أجل إعادة الجامع إلى هويته الأصلية من جديد بعد أن حدثت شقوق وتصدعات وثغرات في أماكن مختلفة منه، وتضرر بسبب قذائف المدفعية التي أطلقها البلغار عليه في أثناء احتلال "أدرنه" سنة ١٩١٣، استمرت حوالي سبع أو ثماني سنوات.

لكم أن تتخيلوا أيضًا أثرَ التعمير والتخريب في بنية الإنسان؛ فمثلاً قد تتناولون السمّ مع الطعام، فيؤثر ذلك في خلايا المخ لدرجة شعوركم بانعدام التوازن في حالتي النوم واليقظة، وهذا بدوره قد يستدعي أن تخضعوا لفترة علاجية طويلة كي تتخلصوا من تأثير ذلك السُّم فتتعافوا وتستردّوا توازنكم وصحتكم.

موجة جذرية

وهكذا تعرّض مجتمعُنا قبل قرنين أو ثلاثة قرون لتخريبات خطيرة، حتى صارت كلُّ ناحية فيه تبدو وكأنها خرابة، وتوصيفًا لهذا الوضع يقول عبد الحق حامد[١] في أحد أشعاره:

أوَّاه! لم تبق أرض ولا حبيب
وملأ قلبيَ الحزنُ واللهيبُ

كما يُعبر ضياء باشا[٢] أيضًا عن ذلك الوضع:

أوَّاه! لقد خسرنا تلك اللعبة
فيا ليت شعري ماذا ربحنا والخسارةُ بينة؟!

أما محمد عاكف أرصوي[٣] فقد رسم تلك الحالة وشخصها بقوله:

أوَّاه! خُدِعنا بإيمان بضعة كُفّار
فنمنا ولم نستيقظ إلا ونحن في النار!

أجل، إن إعادة إحياء وإصلاح مجتمع ضاع فيه الدينُ وخرب الإيمان وانهارت القيم واحدة تلو الأخرى، يتطلّب جهدًا حقيقيًّا وسعيًا حثيثًا.

وإن القدرة على إقامة هذا الصَّرح الذي تصدّع وانكسر وتحطم وتشتتت أجزاؤه المباركة يمنة ويسرة بشكلٍ يتوافق مع هويته الأصلية الحقيقية، مرهونٌ بجهودِ وسعي رجال الغاية السامية، الذين يُضحّون بمتعهم المادية والمعنوية وسعادتهم الشخصية؛ ذلك أنه "بقدر الكدّ تُكْتسب المعالي"، ولمزيد من التوضيح نقول: إن الحصول على التوفيق ماديًّا ومعنويًّا ونيلَ المعالي وتتويجَ النصر بالنصر، مرهونٌ بالجهد والسعي الذي سيُبذل في هذا الموضوع، وباستخدام ذلك في المكان والاتجاه المناسبين الصحيحين. وعلينا ألا ننسى أنه ليس ثمة حركة لا تبدأ من الجذر ولا ترتبط به، يمكنها أن تكون واعدة ومبشّرة وثابتة فيما يتعلق بإصلاح المجتمع وانبعاثه من جديد.. فكم من حركات بدأت عملها بتبختر وخيلاء تعثّرت وانقطعت بها السُّبلُ بعد بضع خطوات خطتها للأمام، وانحنت ظهورها ثم ظل كلٌّ منها مجرد حلم واهٍ ورؤيا محطمة! وقد يكون للسياسيين والإداريين إسهام معين في عملية تهيئة مناخ ملائم لإصلاح المجتمع، وإزالة العوارض والعوائق التي تعترض طريقه؛ فيتسببون بفضل جهودهم ودعمهم في دفع عجلة الإصلاح فيستحقون التقدير والثناء على ذلك.. غير أن ما يجب فعله في الأساس من أجل التعمير والإصلاح، هو التعامل مع المسألة وتناولها من أساسها ومن ثم التوسع على مستوى القاعدة، وعليه يجب البدء بالعمل من الأساس

إن لم يُقْطع السبيلُ أمام موجات الغضب والكره بإقامة جسور المحبة والتسامح والحوار، فلا مفر من وقوع حوادث مرعبة تعمّ البشرية كلها لتقوم على إثرها قيامتها.

والشروع فيه "باسم الله". وعلينا أن نعرف أن إصلاح المجتمع يتأتى من إصلاح الأفراد، وأنه يستحيل إصلاح المجتمع أصلاً ما لم يتم إصلاح كل لبناته ووحداته.

الإصلاح والتعمير

وفي هذا الإطار يجب على المصلحين الذين تفرغوا للإصلاح والتعمير، أن يتحركوا في هذا الإطار بروح التضحية مدى الحياة، كي يتمكنوا من الوصول إلى الهدف المنشود في هذا الطريق، لأن المشاريع الكبرى إذا تدخلت فيها المصالح الشخصية أو العائلية، لم يحالفها النجاح قطعًا. وبغض النظر عن التوفيق والنجاح في الأمر فقد شُوِّه اسم تلك الغاية السامية، فكانت النتيجة هي الخسارة في وقت هو أدعى للكسب، إذ إن أية سياسة أو حكم أو إدارة أو كيان أو مؤسسة أو شركة تدور على المنفعة والمصلحة الشخصية، تتحول إلى كيان مخيف؛ حيث يسعى كلٌّ منها في مثل هذا الموقف إلى تشويه الآخر.. فما إن تدخل المصلحة والمنفعة الشخصية في الأمر، حتى تبدأ مراكز القوى تتصارع مع بعضها البعض، ومن ثم لا يتحقق أيُّ نوع من التقدم لصالح المجتمع وتطوره، ويتقدم الآخرون وتعجزون أنتم عن التخلص من وصايتهم وسيطرتهم. والسبيل للتخلص من تلك الوصاية، هو العمل الدؤوب من أجل الأمة والإنسانية جمعاء، دون توقف ودون تشوف لأي شيء آخر سوى رضا الله تعالى.

وينبغي لمن يحملون رسالة الإحياء على عاتقهم، أن يسعوا في سبيل تنفيذ المشاريع والخطط الكبرى، بل يجب أن تستهدف خططهم الأجيال التي ستأتي بعد قرن من الزمان.. فعلى الإنسان أن يحسن استخدام القابليات والملكات العديدة التي لا تسعها الآفاق والتي منَّ الله تعالى عليه بها، وعليه ألاّ يضيع تلك القابليات والاستعدادات التي لديه بأن يحبسها في مجال ضيّق، كما يجب عليه ألاّ يكتفي أبدًا بأي عمل أو نشاط يبذله في سبيل الحقّ، وعليه في كل مرحلة من المراحل أن يبحث بمختلف السبل المشروعة عن طرقٍ للانفتاح على أنحاء العالم كلها.

وينبغي ألاّ يُساء الفهمُ فيُظنّ أن الهدف من وراء هذا الانفتاح هو تقويض إمبراطوريات وإقامة أخرى مكانها باحتلال العالم والسيطرة عليه؛ فليست لهذه الفكرة أية علاقة بمثل ذلك الظن، بل على العكس فإن المقصد الأساسَ هنا؛ هو إقامة علاقات جوارٍ سليمة وقوية وحميمة مع مختلف شعوب العالم، والاستفادةُ مما لديها من جماليات قد تتوافق معنا، ومحاولة إبلاغ القلوب هناك مجموعة من القيم والأفكار الإنسانية التي نسعى إلى تمثيلها وهي أسمى من "الفلسفة الإنسانية".. فنحن نعلم أنه سيستحيل العيش في هذه الدنيا وستصبح جحيمًا لا يُطاق، إنْ لم نؤسس علاقات جوار وثيقة على ذلك النحو في عالم اليوم الذي ظلّ يتقلص ويتضاءل تحت تأثير العولمة إلى أن أصبح قرية صغيرة، وإن لم نتلاحم مع الجميع فسوف يستمر حكم واستبداد الذين دأبوا على ممارسة العنف والوحشية وإثارة الفتنة بين الناس، وأقاموا خططهم على قتل الناس والانقضاض على مواقعهم ومناصبهم.. غير أنه يجب ألاّ ننسى، أن هذه الدنيا العجوز صارت لا تتحمل مثل هذا العداء الذي يقوم على الحقد والكره والبغضاء، ولا الأسلحةَ الفتاكة المدمرة التي هي نتيجة طبيعية لذلك العداء.. فإن لم يُقْطع السبيلُ أمام موجات الغضب والكره هذه بإقامة جسور المحبة والتسامح والحوار، فلا مفر من وقوع حوادث مرعبة تعمّ البشرية كلها لتقوم على إثرها قيامتها.

وعليه فإنه ينبغي لنا أن نختار طريق التعمير والإصلاح والأخوة وإحياء الآخرين، وأن نتوكل على الله حتى وإن تعرضنا في سبيل هذا للتهديد بالقتل، وأن نواجه الحوادث العابسة في الظاهر بوجه طَلْق ونفسٍ راضية، وأن نتخلى عن متع الحياة ولذائذها -إذا لزم الأمر- من أجل خلاص الإنسانية ونجاتها.. علاوة على ذلك فإن الإمكانيات التي وهبها الله تعالى لنا للخدمة في سبيله، علينا أن نربأ بأنفسنا عن استخدامها من أجل الحصول على أية منفعة دنيوية خاصةٍ، إذ إنه من القبيح والمقيت بالنسبة لمن تعهدوا بإحياء عالم عظيم مجدّدًا أن يتصرفوا وفقًا لمصالحهم الشخصية، فهذا لا يمكن أن يتفق مع القيم الإنسانية. بل يمكن القول إنه ينبغي لنا أن نعتبر الانشغال حتى بالجنة إساءةً لغايتنا السامية؛ إذ ينبغي لنا أن نطلبها من فضل الله تعالى، وعلينا أن نفعل كلَّ ما في وسعنا من أجل إثارة هذا الشعور في أجيال اليوم، لأن من سيغير وجه الدنيا إلى الأفضل، هم الأفذاذ الأخيار الذين يمثلون هذا الشعور.

hiragate.com

مفتاح القلوب السحري

يُعتبر الهمُّ من المقومات اللازمة لإنتاج مشاريع التعمير والإصلاح وتنفيذها، ومن يمكّن منه هذا الشعور فلن يُحرم -بإذن الله تعالى وعنايته- من الحصول على ما يأمله من أجل التعمير.. وبناء عليه هلمُّوا بنا جميعًا نطلب من الله تعالى أن يرزقنا همَّ التفكير في الأمة، وهمَّ التفكير في العالم الإسلامي الذي خارت قُواه، ولنتضرع إليه قائلين "اللهم اقدح الهمَّ في قلوبنا مثل الشَّرَر!"، ولنفكر في مشاكل الإنسانية جمعاء أينما وكيفما نكون، ولنبحث عن حلول لها.

ومع أن الدين يقوم على قاعدة اليسر، إلا أن مهمة مهندسي العقل والفكر في هذا الموضوع صعبة للغاية، فعليهم أن يعملوا ويجتهدوا بكل طاقاتهم، لأن هناك أناسًا كثيرين يقتدون بهم، يترقبون نظراتهم ويصغون إليهم وقد يتحركون تحت تأثير الحالة النفسية الجماعية.. فيجب عليهم التفكير في "الإحياء" أكثر من "الحياة"، وعليهم أن ينسجوا حياتهم حول محور هذه الغاية.. ولا بد من إعلاء الهمة وشحذها جيدًا في هذا الشأن، والنظر إلى القضية على أنها قضية الإنسانية جمعاء.. فإن لم تستطيعوا أن تضعوا لَبِنَةً في كل مكان من أجل غايتكم السامية، عجزتم أن تكونوا حيث تريدون وأن تحقّقوا الإصلاح الذي فيه ترغبون، وحُرِمتُم من المكان الذي يجب أن تكونوا فيه.. وعليه فإننا مطالَبون ومضطرون أن نتحرك كأناس عالميّين.

وعلينا -ونحن نضطلع بهذا- ألاّ نتخلى عن اللين والرفق أبدًا، وأن ندخلَ في القلوب باستخدام لغة الحب والمودة، لأنها مفتاحٌ سحري لا يستعصي عليه أيّ قفلٍ مهما كان صدِئًا.. فربما تنفتح لكم كل الأبواب الموصدة إذا استطعتم استخدام تلك اللغة بشكل صحيح، وتدخلون في جميع الصدور المتمردة، وقد قيل في أحد الأمثال: "الكلمة الطيبة تُخرج الحية من جحرها".. وكما أن حركات عازف الناي أو الصوت الذي يصدره تجعل الحية تتراقص، فإنني أحسب أن بعض التصرفات والسلوكيات الروحانية ستذيب بعض مشاعر العداء، وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت:٣٤)، وعندها ستنشرح لكم صدورُ من يعادونكم، ويقولون لكم "كنا في انتظاركم منذ أمد بعيد".

فدائيُّو المحبة

إن أجيال عصرنا لا يقدّرون المسألة حقَّ قدرها، ومع هذا فإن التعمير والإصلاح الذي ستضطلع به القلوب المؤمنة يعني إصلاحَ الأرض قاطبة، ذلك أن من كانوا قبل اليوم بحوالي ثلاثين سنة ما كانوا يستوعبون ما سيقوم به فدائيُّو المحبة المنفتحون على مختلف أنحاء العالم يومًا ما، غير أن المنصفين يقدّرون اليوم تلك الخدمات التي يضطلع بها مَنْ سافروا إلى ما يقرب من مائة وسبعين دولة في العالم وكأنهم سفراء فخريّون.. ولذلك فربما تتعذّر الآن رؤية المستقبل المتوقّع بعد حوالي خمس وعشرين أو ثلاثين سنة، فإن تم الحفاظ على الصفاء والصدق المتوفر في أول العمل وعلى القِوَام والمنهَج والإبقاء على روح التضحية والفداء، وعدم التشوّف لأي شيء، فيُتوقع أن تعيش الأرض قاطبةً انبعاثًا جديدًا فريدًا.

كذلك ينبغي لنا ألاّ ننسى أن بعض الخدمات التي استعمل الله تعالى لها أناسًا أدَّوها في الماضي حقّ الأداء فَمنَّ عليهم بالنجاحات المتعددة، لَتُعتَبَرُ هي أكثر الأدلة والبراهين إقناعًا وتأييدًا للخدمات التي سيستعمل فيها آخرين والنجاحاتِ التي سيوفقهم إليها مستقبلاً.. فليس ثمة عائق يحول دون أن تتحقق اليوم وغدًا أيضًا، تلك الأمور التي تحققت بالأمس، غير أنّ المهم هو أنْ نتمكن من أدائها على النحو الذي قدمه سادتنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأن نتمثل القوام والمنهج الذي تمثّلوه، وأن نكون فاعلين ونشطين دون أن نَبْلَى أو نَضعُف، وأن نتمكنَ من إنتاج المشاريع دائمًا، ونستخدم جميع الإمكانيات التي لدينا من أجل تنفيذ هذه المشاريع والخطط. ■

(*) نشر هذا المقال في كتاب الجرة المشروخة ١٦، تحت عنوان "Asırlardır Tahribe Uğramış Kalenin Tamiri". الترجمة عن التركية: هيئة التحرير.

الهوامش

(١) عبد الحق حامد طرخان (١٨٥١-١٩٣٧م)، أديب وشاعر تركي.

(٢) ضياء باشا (١٨٢٥-١٨٨٠م)، شاعر تركي، وكان من دعاة التجديد، له ديوانان "ظفرنامه" و"خرابات" في ثلاثة مجلدات.

(٣) محمد عاكف أَرْصُويْ (١٨٧٣-١٩٣٦م)، من أكبر شعراء الأدب التركي المعاصر، وهو ناظم النشيد الوطني التركي.

hiragate.com

د. فاطمة كوندز*

لماذا نشعر بالحكة؟

أحيانًا نشعر بالحكة في ظهرنا ونطلب ممن بجانبنا أن يحك جلدنا، وقد نشعر براحة غريبة إذا عثرنا على موضع الحكة بالضبط. في بعض الأحيان نشعر فجأة بحكة شديدة في منطقة بجسدنا، وعندما ننظر إلى تلك المنطقة نرى طفحًا جلديًّا يشبه حبَّة الحمص. إنها البعوضة! لا نشعر بها أبدًا عندما تلدغنا لولا دويها الذي يقطع علينا نومنا في أحلى وقته. وبينما نهرش مكان التورم نبحث بأعيننا -في الوقت نفسه- عن هذه البعوضة، فنراها حاطَّة على الجدار تستريح وقد ملأت خزانها بالدم الذي امتصته منا. يا لها من حشرة ذات مذاق! أما الموضوع الذي سنقف عليه في هذه السطور، فهو محاولة

الإجابة على السؤال الذي يشغل أذهان الكثير منا، وهو "لماذا نشعر بالحكة"؟

الحكة، إحساس غير مريح ينشأ عن تهيج خلايا الجلد والأغشية المخاطية، مما يجعل الحياة أحيانًا مزعجة لا تطاق.

في الواقع، الحكة مثل الألم، هي إحساس مُنحنا إيَّاه ليقدر الجسد على حماية نفسه. إنها الطريقة التي يتحدث بها جلدنا إلينا. الحيوانات أيضًا، حتى الأسماك تشعر بالرغبة في الحكة. ولكن ماذا يريد جسدنا عندما يخبرنا بهذا الشعور؟ يخبرنا جلدنا بلسان حاله عن طريق شعور الحكة، أن "هناك شيئًا ما يزعجني ويجب إبعاده عني". بدون الإحساس بالحكة، لم نكن لنلاحظ العنكبوت يمشي على ذراعنا، ولن تزعجنا الطفيليات أو حتى الفطريات التي قد تستقر على بشرتنا ولن نسعى إلى حماية أنفسنا منها.

بينما يعيش على جلد مريض الجرب الطبيعي ١٥-٢٠ طفيلاً من الجرب البالغ، وهو ما نسميه بالجرب النرويجي؛ يُلاحظ الآلاف من طفيليات الجرب تحت القشور السميكة، وعلى جلد المسنين والضعفاء ومن يعانون نقص المناعة، ممن لا يشعرون بالحكة أو لا يستطيعون حك أنفسهم بشكل كاف. ولعل هذه الأمور وحدها تكفي لمعرفة مدى أهمية الإحساس بالحكة، أليس كذلك؟

مع الحكة، تتسارع الدورة الدموية في تلك المنطقة، وتتأهب خلايا الدم والمواد القادمة إلى المنطقة والأنسجة، لمكافحة العدوى. ومع ذلك، هناك ملايين الأشخاص الذين يعانون من الحكة المزمنة. ما هو السبب المحتمل لذلك؟ لفهم هذا، علينا القيام برحلة تبدأ من جلدنا لتنتهي عند دماغنا.

طبقات الجلد ووظائفها

خُلق جلدنا من ثلاث طبقات: البشرة، الأدمة، تحت الجلد. أما طبقة الأدمة في المنتصف فتصنع نتوءات تشبه القفازات في البشرة. في الجزء العلوي من هذه النتوءات، توجد مستقبلات ميكانيكية ونهايات عصبية تمكن بشرتنا من اكتشاف تغيرات معينة، مثل الحرارة، البرودة، الحدَّة، الضغط، الاهتزاز، الألم، الحكة. تعمل

هذه المستقبلات كنظام إنذار، وهي إحدى أعضائنا الحسية الخمسة والموجودة داخل جلدنا، والتي تشكل جدارًا فاصلاً بين العالم الخارجي وجسمنا.

كان يُعتقد في الماضي أن الألم والحكة يتم إدراكهما من خلال نفس المستقبلات العصبية، فتؤدي التنبيهات الخفيفة إلى شعور الحكة، والتنبيهات القوية إلى الإحساس بالألم، إلا أن هناك أمرًا يحتاج إلى توضيح؛ إنه عندما يتسبب الألم في رد فعل انعكاسي يتمثل في الانسحاب والابتعاد عن مصدر الألم، تتسبب الحكة في رد فعل يركز الاهتمام على حك تلك المنطقة عوضًا عن الابتعاد عنها.

توصلت الدراسات الحديثة إلى أن المستقبلات التي تدرك الإحساس بالحكة على الجلد، هي نهايات عصبية حرة تنتمي إلى ألياف "سي" (C) اللاميالينية ذات سرعة توصيل بطيئة، وتمتد على شكل فروع شجرة باتجاه الطبقة العليا من الجلد، كما أُثبت أن خلايا الجلد نفسها تعمل كمستقبل للحكة. عندما يواجه الجلد أي منبه مسبب للحكة؛ مثلاً عندما تلدغنا بعوضة، فإنها تطلق مواد مضادة للتخثر (تمنع تخثر الدم) على الجلد. ولأن هذه المادة غريبة بالنسبة لجسدنا، فإنها تقوم بتحفيز الخلايا الدفاعية في بشرتنا، والتي نسميها بالخلايا الصارية. تطلق هذه الخلايا الوسائط الكيميائية التي هي رسل الجهاز الدفاعي للجسم والتي تنتجها

hiragate.com

وتخزنها للحالات الضرورية. وتعتبر مادة الهيستامين أشهر هذه الوسائط التي تلعب الدور الأهم في الحكة. يرتبط الهيستامين بالمستقبلات الخاصة به في ألياف سي (C) اللاميالينية المسؤولة عن استشعار الحكة في الجلد. إذا تخيلنا الهيستامين كمفتاح، فإن القفل الذي يناسبه يكمن في العصب الذي يستشعر الإحساس بالحكة، وبالتالي يتم تحفيز عصب الحكة بواسطة الهيستامين. تدخل الأعصاب التي تتلقى هذا التحفيز إلى النخاع الشوكي على مستواها الخاص وتنتقل الرسالة إلى عصب آخر. في كل من عمليات النقل هذه، تتلقى المواد الوسيطة التي نسميها الناقلات العصبية، المهمة المنوطة بها. وأخيرًا، يتم بواسطة الدماغ، تقييم الرسالة المرسلة عبر هذه الأعصاب إلى الدماغ، ويُنظر إليها على أنها "حكة". يحدد الدماغ إحداثيات منطقة الحكة ويأمر الجهاز العضلي المعني بحكها، في ذلك الوقت، تبدأ رحلة جديدة، تأخذ المعلومات من الدماغ إلى عضلات الذراع، ونتيجة لكل هذه العمليات الربانية تحدث حركة الخدش.

عند الشعور بنملة تمشي على وجهنا، نقوم تلقائيًا بإبعادها عن جلدنا، لندرك حينها مدى سرعة عمل دماغنا، ونظام اتصاله الخارق بالأعضاء الأخرى. والغريب في الأمر أن الحكة شعور غير مريح، إلا أن حك الجلد يشعرنا بالراحة والاسترخاء. فما السبب يا ترى؟ في الواقع هناك عدة أسباب؛ فالحكة تشعرنا بألم منخفض

الشدة في الجلد، كما يقع الألم والحكة كل منهما في موقع مضاد لبعضهما البعض على الجلد، فعند إعطاء الأولوية لنقل الإحساس بالألم، يُمنع انتقال الإحساس بالحكة. وهكذا يشعر دماغنا بالألم، واستجابة لذلك فإنه يفرز الهرمون الذي نسميه السيروتونين لإرخاء الجسم مرة أخرى. وعلى الرغم من أن هذا يشعرنا بالسعادة لفترة قصيرة، إلا أن وجود مستقبلات السيروتونين في الشبكة العصبية التي تنقل الحكة في النخاع الشوكي، يجعلها ترتبط أيضًا بالسيروتونين المنتج، وتنقل الإحساس بالحكة إلى الدماغ. لهذا تحدث حلقة مفرغة من الحكة وخدش الجلد التي تحبط المرضى. إذا واصلنا على حك نفس المنطقة من جلدنا، فتكون قد تسببنا في إنتاج وسطاء جدد، مما يؤدي إلى حساسية أعصاب الحكة، وللأسف اضطرابات الحكة المزمنة.

تحدث الحكة في الغالب نتيجة مرض جلدي، مثل الجرب، القمل، الأكزيما، الأمراض الفطرية، الحساسية للأدوية.. وأحيانًا نتيجة مرض جهازي، مثل الفشل الكلوي المزمن، وأمراض الكبد الصفراوية، ومشاكل الغدة الدرقية، وفقر الدم الناجم عن نقص الحديد، أمراض الدم، ونادرًا السرطانات. قد ينتقل شعور الحكة في الأمراض الجهازية عن طريق الوسطاء أو الناقلات العصبية في الجلد. ولا يمكن السيطرة على هذا النوع من الحكة بمضادات الهيستامين التي تسد مسار الهيستامين، والتي نستخدمها في مرحلة ما في حياتنا. ففي بعض الأحيان، يحدث شعور "الحكة الكاذبة" بسبب تلف الأعصاب الناجم عن مشاكل في الفقرات، أيْ يتم نقل الأخبار غير الحقيقية إلى عقولنا.. وفي مثل هذه الحكة، من الضروري منع الاتصال بالعصب. في بعض الأحيان لا يمكن العثور على سبب للحكة، إلى أن نواجه في النهاية هوس نفسي بشعور الحكة. تظهر الأبحاث أن مركز المكافأة في دماغنا، يتم تنشيطه في أثناء عملية الحك، لذا يشعر بعض المرضى بالمتعة أثناء حكهم. ■

(*) كاتبة وأكاديمية وباحثة تركية. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر زغلول.

hiragate.com

أ.د. نبيل سليم*

تطور التقنيات الذكية ومستقبل البشرية

ثبت أن التباعد الاجتماعي (Social Distancing) إجراء فعال للغاية لإبطاء انتشار فيروس كورونا، وهناك الملايين من الناس حول العالم يقضون معظم الوقت في المنزل للمساعدة في إبطاء انتشار الفيروس، ولكن العديد من العمال في الصناعات التحويلية والدوائية، يضطرون للذهاب إلى العمل كل يوم للتأكد من تلبية الاحتياجات الأساسية للمواطنين.

لذا تدعم حكومات دول العالم استخدام الذكاء الاصطناعي لإطلاق تقنيات ذكية لمكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد؛ حيث أطلقوا تقنية للهواتف الذكية تساعد في تعقب الأشخاص المخالطين لمرضى كوفيد-١٩، مما يساعد السلطات الصحية على التصرف بسرعة لوقف انتشاره.

وتتضمن المبادرة جمع البيانات من الهواتف الذكية، لمعرفة الأشخاص الذين كانوا على اتصال وثيق بالمصاب بالفيروس حتى يمكن الاتصال بهم لحمايتهم من الإصابة. كما طورت شركة "لاندنج" أداة جديدة تعتمد في عملها على الذكاء الاصطناعي، لمراقبة التزام الأشخاص بكافة إجراءات التباعد الاجتماعي داخل مكان العمل؛ حيث تصدر الأداة تنبيهات لحظية عندما يقترب أي شخص من زميله بأقل من

المسافة الموصى بها وهي متر ونصف المتر على الأقل.

إن الذكاء الاصطناعي تقنيًا هو وليد مجالين علميين: علم السلوكيات والعصبيات، وعلم الإعلام الآلي أو كما يسمى حديثًا بعلم المعلوماتية. وللتفرقة الصحيحة بين المجالين بالنسبة للمتخصصين في علم الأوتوماتيكيات والعلوم الدقيقة من حيث التعريف، هو العلم الذي يضم كل الخوارزميات والطرق النظرية منها والتطبيقية التي تعنى بأتمتة عملية أخذ القرارات مكان الإنسان، سواء كان ذلك بطريقة كاملة أو جزئية بمعية الإنسان مع القدرة على التأقلم أو الاقتباس أو التنبؤ. ومن خصائص الذكاء الاصطناعي، التصرفات التلقائية، والتطور الذاتي، والتعلم الآلي التلقائي، وكلها توحي بفكرة حرية الآلة المطلقة في أخذ القرارات في المستقبل القريب، ومنه التخوفات المتصاعدة حاليًا على الساحتين الإعلامية والأكاديمية.

لكن الواقع التقني والعوائق الأخلاقية والتكنولوجية تقول غير ذلك، حيث يتنبأ علماء الذكاء الاصطناعي أنه في غضون العشر سنوات القادمة، سوف تتمكن الآلة من إنهاء ٨٠٪ من المهام الصعبة، وفي العديد من الحالات سيتعين عليها اتخاذ خيارات ليصبح أمر تحديد القواعد الأخلاقية للآلات أصعب مهمة يواجهها الإنسان.

ومنذ الأيام الأولى لأبحاث الذكاء الاصطناعي، تم صنع حواسيب قادرة على تشخيص وتحديد صورٍ معينة، ولوحظ أنه من الصعب برمجة نظام قادر على إنجاز كل الأفعال التي يقوم بها الإنسان، لذا فإن مخاوف الناس تتمحور حول خروج الأمر عن السيطرة وإنتاج ذكاء اصطناعي شبيه بذكاء البشر.

إن ما تحمله السنوات المقبلة لنا في عالم التكنولوجيا، وخصوصًا في مجال ما بعد اندثار الهواتف الذكية -كما يتوقع الخبراء- سيكون مذهلاً للغاية، إلا أن رئيس فريق البحث وأستاذ علم الحاسوب "فينسنت كونتايزر" يؤكد أنه لن يحدث مثل هذا النوع من الذكاء في الوقت الحاضر.

الباحثون في جامعة ديوك، بصدد محاولة ومعرفة كيفية إنشاء ذكاء اصطناعي متقدم قادر على إصدار أحكام أخلاقية، والتصرف بناء عليها.

إن أي ذكاء اصطناعي، قادر على التكهن المبني على أساس ما يمكن أن يفعله الإنسان في حالة معينة، كظرف

يحتوي ملابسات أخلاقية يجب اتخاذ قرار معين تجاهه، وتتأثر الأحكام الأخلاقية بالحقوق مثل الخصوصية، والقواعد كتلك التي داخل الأسرة، والتصرفات المسبقة مثل الوعود، والنوايا والعهود، وغيرها من الخصائص ذات الصلة بالناحية الأخلاقية. ولمعرفة وضبط الدوال الأخلاقية لبرمجتها بذكاء اصطناعي، فإن فريق البحث يدمج بين علم الحاسوب والفلسفة والاقتصاد وعلم النفس.

امتزاج العالم الحقيقي بالافتراضي

بعض السلوكيات التي يجيدها الإنسان يمكن برمجتها، مثل القدرة على لعب الشطرنج -إذ توجد حواسيب قادرة على هزيمة أفضل لاعبي العالم- لكن هنالك أشياء معقدة للغاية يصعب ترجمتها إلى أنماط يميزها ويتعرف عليها الحاسوب، وهو في نهاية المطاف أساس كل أنواع الذكاء الاصطناعي، مثلاً يمكنك بسهولة تشخيص جدتك وسط حشد من الناس، لكن في الحقيقة برمجة الحاسوب لتشخيص الأشياء بشكل جيد صعب للغاية.

ولو كنا أجرينا نفس الاختبارات الأخلاقية قبل مائة عام مثلاً، فإن القرارات التي كنا سنحصل عليها من الناس، ستكون أكثر عنصرية وعرقية وجنسية والعديد من التصرفات التي لا يمكن اعتبارها شيئًا جيدًا، وبالتالي فربما تطور أخلاقنا لم يصل إلى ذروته بعد.

hiragate.com

أيضًا بعد مئات السنين من الآن، قد يعتبر الناس بعض الأمور التي نفعلها حاليًا غير أخلاقية تمامًا، كتعاملنا مع الحيوانات مثلاً، لذا فإن هنالك نوعًا من خطر التحيز لصيقًا بنا مهما بلغ مستوى تطورنا الأخلاقي.

وفي المستقبل غير البعيد ستختفي الهواتف الذكية، مثلما حدث مع أجهزة البيجر والفاكس من قبلها، وبحلول عام ٢٠٣٠ ربما سنشهد هذا التحول الكبير.

إن الشركات الكبرى مثل تسلا، ومايكروسوفت، وفيسبوك، وأمازون، وبعض الشركات الناشئة، تمهد الطريق لاندثار الهواتف المحمولة، وعندما يحدث ذلك، ستصبح الأمور غريبة جدًّا بالنسبة لكافة الناس، ليس من ناحية المنتجات الفردية، وإنما من ناحية الكيفية التي ستعيش بها البشرية في المستقبل. إن الهواتف الذكية مثلت ثورة كبرى، فهي سهلة الحمل في أي مكان، ويسهل التعامل معها لإنجاز احتياجاتنا اليومية، وهي مزودة بمزيج من الملحقات مثل الكاميرا وخاصية تحديد المواقع، لتسهيل استخدام تطبيقات مثل سناب شات، وأوبر وغيرها.

ولكن لننظر إلى الهواتف الذكية من زاوية أخرى، فإن أجهزة الكمبيوتر المحمولة والمكتبية، تضم مزيجًا من الأدوات مثل الفأرة والشاشة، وقد استلهم الهاتف الذكي هذا النموذج وقام صانعو الهواتف الذكية بتصغير حجمه،

يتنبأ علماء الذكاء الاصطناعي أنه في غضون العشر سنوات القادمة، سوف تتمكن الآلة من إنهاء ٨٠٪ من المهام الصعبة، وفي العديد من الحالات سيتعين عليها اتخاذ خيارات ليصبح أمر تحديد القواعد الأخلاقية للآلات أصعب مهمة يواجهها الإنسان.

وجعلوا أدوات الإدخال افتراضية وتعمل باللمس.

إن ما جرى الكشف عنه مؤخرًا من أجهزة هواتف ذكية للغاية يبدو رائعًا، فهي بشاشة بلا إطار ومكونات قوية، إنها مدهشه وتمثل أكثر من مجرد ثورة، فضلاً عن خصائص جديدة تهدف إلى جلب الواقع المعزز إلى شريحة أكبر من الناس. ومن المتوقع أن تحاول شركات أخرى، السير على نفس الدرب. وعلى المدى القريب، فإن كل هذه التكنولوجيات المتنوعة التي ما تزال في مراحلها الأولى، ستتحول إلى شيء مألوف ولكن غريب، وستعمل على ابتكار أجهزة الواقع المعزز الخاصة بها، حيث ستجلب تلك الأجهزة صورًا ثلاثية الأبعاد مبهرة مباشرة إليك.

زرع حواسيب في الدماغ

لقد كان "أليكس كبمان" المسؤول في شركة مايكروسوفت، قد أكد أن تكنولوجيا الواقع المعزز، قد تحل محل الهواتف الذكية والتلفزيونات وأي جهاز له شاشة.. فلا فائدة لأجهزة منفصلة للرد على مكالماتك والدردشة ومشاهدة التلفاز وممارسة الألعاب إذا كان من الممكن أن تمارس كل ذلك عبر عينيك.

وفي نفس الوقت ستزداد أهمية ملحقات مثل مساعد أمازون أو سماعة أبل، وكلما ازدادت فعالية أنظمة الذكاء الاصطناعي فلن يزداد فقط الحديث إلى الكمبيوتر، وإنما سيكون هناك رد من جانب الكمبيوتر نفسه. بعبارات أخرى، ستسيطر الحواسيب على حواسك، وستتداخل التكنولوجيا مع سمعك وبصرك، وسيصبح الأمر مخيفًا قليلاً؛ إذ لم يعد العالم مسيطرًا على ما تقرأ على هاتفك فقط، بل بات مسيطرًا أيضًا على ما تراه من حولك.

الشيء المبشر هنا، أن العالم الحقيقي والتكنولوجيا سيمتزجان بشكل أكثر سلاسة، وتتعهد شركات

hiragate.com

التكنولوجيا الكبرى بأن هذا المستقبل يعني عالمًا أقل تشتيتًا من الناحية التكنولوجية وأكثر توازنًا، إذ إن العالمين المادي والرقمي قد أصبحا واحدًا ، ولك أن تقرر كيف تشعر حيال ذلك.

وإذا كانت معظم الاستثمارات المستقبلية في مجال التكنولوجيا تعتمد على أجهزة يجب ارتداؤها، إلا أن هناك تقنيات جنونية شديدة التقدم ولا يمكن تصورها تسعى للوصول إلى ما هو أبعد من ذلك، بشرط أن تصبر لعقود أخرى. وقد جرى الكشف مؤخرًا عن شركة "نيور لينك" التي أسسها "إيلون ماسك" بهدف زراعة حواسيب داخل الدماغ عن طريق رباط عصبي، وهي تكنولوجيا لا تزال في مراحلها الأولى. بل وتسعى الشركة في المستقبل، إلى المزج بين العالمين الرقمي والمادي، حيث سيصبح الإنسان والآلة شيئًا واحدًا.

بفرض نجاح هذه الفكرة فهذه هي النهاية المنطقية للطريق الذي بدأته الهواتف الذكية. فإذا كانت الهواتف الذكية تمكننا من الوصول إلى المعلومة، بينما تضع تكنولوجيا الواقع المعزز هذه المعلومة أمامنا عند حاجتنا إليها، فإن وضع رباط عصبي في أدمغتنا يغلق الهوة.

وقد صرح إيلون ماسك بالقول: "إن السبب في ذلك هو أن صعود الذكاء الاصطناعي يعني أن على البشر رفع قدراتهم لمجارات الآلات". ويرى "مات" أن فكرة انصهار البشر مع الآلات مفزعة، ويعزى جانب كبير من هذا الشعور إلى كُتّاب الخيال العلمي والفلاسفة، الذين شككوا في تكوين البشرية في المقام الأول، وفي نفس الوقت، فإن الفكرة جديدة للغاية لدرجة أنه لا أحد يمكنه تخيلها.

لذا، عندما تندثر الهواتف الذكية، فإن ذلك سيشكل نهاية حقبة من الزمن، وسيمثل ذلك نهاية الآلات التي نحملها معنا، وبداية حقبة ربط أجسامنا مباشرة بالعالم الرقمي، وسيصبح العالم غريبًا.. ومع ذلك يعتقد الكثير أن الهواتف الذكية تمنحنا القدرة على المعرفة والحكمة أكثر من أي شيء آخر، ولعل تعزيز قدرات الإنسان سيمنحنا قدرات خارقة.

ضرورة برمجة الأخلاق

منذ أن قامت البشرية باختراع الكتابة وبداية التاريخ الإنساني، مرورًا بالثورات المختلفة من ثورة الإدراك إلى الثورة الزراعية إلى الصناعية إلى الثورة العلمية إلى اختراع الحوسبة، والطفرة التكنولوجية في أواخر القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، كان لا بد من ظهور مصطلحات وتعريفات جديدة بكل زمن وبكل ثورة وبكل مرحلة إدراك متقدمة.. ومن هذه التعريفات تعريفات يمكنها أن تتواجد وتصف مرحلة متأخرة من الزمن بالرغم من ظهورها في مرحلة متقدمة، وأخرى تصف المرحلة المتقدمة وتكاد أن تدمر المرحلة القديمة في وصفها لها.

إلا أن هناك فائدة عمت على كل إنسان في كل مكان من خلال الأنظمة المدمجة، والتي تعرف أيضًا بالأنظمة المتضمنة أو الأنظمة المطمورة. فلفظة مدمج تعني شيئًا مرتبطًا بشيء آخر، والنظام المدمج هو نظام مصمم خصيصًا للقيام بمهمة محددة أو عدد من المهمات المحددة، أي إنه مصمم لأغراض محددة، وهو المتحكم أو المعالج القائم على النظام الذي تم تصميمه ليؤدي مهمة محددة أو عدة مهمات محددة. ويمكن اعتبار النظام المدمج للحاسوب "Hardware" مدمج به الـ "Software"، والنظام المدمج يمكن أن يكون نظامًا مستقلاً بذاته، أو جزءًا كبيرًا من نظام آخر، أي تكون مدمجة في منتج أكبر، لذا من الممكن أن تكون غير مرئية للمستخدم.

في النهاية يمكننا القول، إن الهدف من الوجود الأساسي للأنظمة المدمجة، هو جعل الحياة أسهل وأكثر راحة فيما يخص التنقلات وتنفيذ المهام والحساب.. وهذا هو الهدف من التكنولوجيا أصلاً، لذا يأتي المهندس المتخصص، ويجعل العلوم النظرية تطبيقات تراها وتتعامل معها.

وفي كل يوم يسارع العقل المبدع في إنتاج شيء آخر يجعل الحياة أكثر راحة، لذا كل ما ذُكر سابقًا هو نتاج عقول بشرية تتعامل مع العلوم النظرية بنظرة إبداعية وتطبيقية، وبدون هذه النظرة لما كنت ترى ما أكتب الآن. ■

(*) العميد الأسبق لكلية الطب، جامعة الإسكندرية / مصر.

hiragate.com

د. بنعيسى النية*

الحوار من أجل التعايش

إن الحضارة في عمقها وجوهرها، هي القدرة العالية على المشاركة في صنع الحاضر وصياغة المستقبل. والفعل الحضاري هو الجهد البشري الذي يبذله الأفراد أو الجماعات لتحقيق هاتين الغايتين. ولا تكتمل لهذه المشاركة شروطها، إلا بالتعايش الثقافي الحضاري بين الشعوب والأمم، الذي يقوم على قاعدة التعاون الإنساني الرحب الواسع غير المحدود، والذي تحكمه القيم الإنسانية النبيلة. بهذه الفكرة المهمة افتتح الدكتور "عبد العزيز بن عثمان التويجري"، المدير العام السابق للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، موضوع كتابه "الحوار من أجل التعايش".

رسالة التفاعل الحضاري في عالم متغير

يرى "التويجري" أن العلاقة المتينة بين الحوار والتفاعل الحضاري،

تقتضي أن يكون ثمة ترابط محكم بين أهداف الحوار وغايات التفاعل الحضاري. وبتعبير أدق إن التفاعل الحضاري عملية تكاملية تتم بين الطرفين، وتمتزج فيها عناصر شتى، وتؤدي في النهاية إلى حالة الانسجام والتناغم. وهي ليست عملية عشوائية لا إرادية، ولا هي ضرب من الترف الفكري، وإنما هي فعل ينتج عن التقاء إرادتين تسعيان إلى تبادل التأثير في المحيط الاجتماعي.

ومن أجل هذا، ينبغي أن يكون الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات حوارًا هادفًا، وتفاعلاً بانيًا قائمًا على الاحترام، لكي يصير هذا الحوار والتفاعل فعلاً إنسانيًّا مؤثرًا في حركة التاريخ، وعنصرًا مساعدًا لاستتباب الأمن والسلام في الأرض، وقوة دفع لاستقرار الحياة الإنسانية وازدهارها ورقيّها. والهدف الرئيس من هذا كله هو إشاعة قيم التسامح بالمعنى الراقي للتسامح، أي التسامح كقيمة توحد الإنسانية وتجعلها أكثر تعايشًا.

آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب

يذكر هنا "التويجري" أن لهذا الحوار حدودًا يتعين رسمها بدقة، والاتفاق عليها عن اقتناع، وهي:

أولاً: أن يكون الحوار متكافئًا، تتوفر له شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته؛ بحيث يكون حوارًا شاملاً يدور مع مختلف الفئات والشرائح، على المستوى الحكومي، وعلى صعيد المؤسسات الأهلية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التي تحدد هذا الحوار.

ثانيًا: أن يتناول الحوار مختلف القضايا التي تهم المجتمع العربي الإسلامي، لا يُستثنى إلا القضايا التي تدخل ضمن اختصاصات السيادة في الدول العربية والإسلامية، بحيث يتسع مجال الحوار ويتعمق مجراه، فيشكل كل موضوع ذي صلة بالحياة الثقافية والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والعلمية والتّقانية، فلا يكون مقتصرًا على القضايا المعرفية فقط.

ثالثًا: أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للطرفين، وأن يؤدي إلى تأمين المصالح التي يحرصان عليها، والتي لها صلة بالتقدم في مجالات الحياة ثقافيًّا وعلميًّا، واقتصاديًّا واجتماعيًّا، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير على مجمل العلاقات بين المسلمين والغرب، ويعود بالنفع والفائدة على الجميع.

رابعًا: أن يكون الحوار متحضرًا، ومترفعًا عن الموضوعات التي هي مثار اختلافات دائمة، مثل اختلاف العقيدة واللون والعرق.

وهنا يشير "التويجري" إلى الحوار الإسلامي-المسيحي؛ فلأول مرة في تاريخ الكنيسة الغربية، ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) على مستوى مذهبي وعقائدي، مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية، حيث صدر عن الكنيسة تصريح خاص حول "علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية". وقد أولى هذا المجمع اهتمامًا خاصًّا بالإسلام، فلأول مرة منذ أربعة عشر قرنًا من وجود المسيحية والإسلام، يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية عن الإسلام معترفًا بوضعه الديني. ثم جرت بعد ذلك تطورات عديدة على مستوى العلاقة بين الإسلام والمسيحية، كان من أبرزها الخطاب الذي ألقاه البابا "بولس السادس" في كل من عمان والقدس في يناير ١٩٦٤؛ إذ دعا الكنيسة لاحترام أتباع الأديان التوحيدية الذين يعبدون إلهًا واحدًا حقيقيًّا.

بناء على ذلك يرى "التويجري" بأننا في حاجة اليوم إلى أن ننتقل بالحوار إلى الجامعات ومراكز البحوث والدراسات، ونساهم في إنشاء كراسي للدراسات الإسلامية في أعرق الجامعات الغربية، ونقيم جسورًا من التواصل والتعاون بين جامعاتنا وجامعات الغرب، ونتبادل التجارب والخبرات ونتائج البحوث الأكاديمية في شتى فروع العلم والمعرفة.

العولمة والهوية

إن العولمة لا يمكن أن تكون نقيضًا للهوية، ولن تكون بديلة عنها. والعولمة بهذا المفهوم، وفي إطار التنوع الثقافي وازدهار هويات الشعوب، وفي ظل الحوار الراقي الهادف بين الأديان والحضارات، هي الخيار الإنساني المتاح والمفتوح أمام مستقبل البشرية، وهو الأمر الذي سيؤدي -بالتتابع وبتراكم التجربة- إلى تعميق الاحترام المتبادل بين الجميع.

hiragate.com

وبناء على ذلك، يستحضر "التويجري" هنا موضوع التسامح، معتبرًا بأنه "أمر لا غنى عنه للعلاقات الإنسانية السلمية في أي مجتمع. وعندما يتحول التسامح إلى احترام متبادل -وهي صفة أكثر إيجابية- فإن نوعية العلاقات ترتقي بشكل واضح. ومن ثم فإن الاحترام المتبادل يشكّل أساسًا لإقامة مجتمع إنساني تعددي، وهو نوع المجتمعات الذي يمثّله الجوارُ العالمي ذاته، والذي لا يتميز بالاستقرار فحسب، بل باحترام تنوعه الذي يُغنيه.. وإذا فقدت نظرية العولمة هذا العنصر الإنساني، وعدمت هذا الأساس الأخلاقي، كانت إلى الأيديولوجية الشمولية أقرب منها إلى النظام القانوني القابل للتطبيق لصالح البشر كافة". إن العولمة بهذه الصورة تجعلنا نتفق مع رأي "التويجري"، لكن أن تحول العولمة الإنسان إلى مجرد أرقام وسلعة، فهذا يضر الإنسانية في تنوعها دينيًا واجتماعيًا وثقافيًا.

التنوع الثقافي

لقد أضحى الحق في التنوع الثقافي في رأي "التويجري" قاعدة من قواعد القانون الدولي، وذلك استنادًا إلى ميثاق الأمم المتحدة والعهود والاتفاقيات التي تحكم علاقات التعاون الثقافي بين المجموعة الدولية وفي كفالة هذا الحق من حقوق الإنسان، تأكيدًا على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم، وإبرازًا للهوية الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الإنسانية العامة القائمة على أساس وحدة الجنس البشري، ووحدة الصفات المشتركة التي أودعها الخالق البارئ في الطبيعة البشرية.

جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي:

١- لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما.

٢- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمّي ثقافته.

٣- تشكل جميع الثقافات، بما فيها من تنوع خصب وبما بينها من تباين وتأثير متبادل، جزءًا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعًا.

وعلى ذلك، يمكن القول مع "التويجري" إنه ليس

ينبغي أن يكون الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات حوارًا هادفًا، وتفاعلاً بانيًا قائمًا على الاحترام، ليصير فعلاً إنسانيًّا مؤثرًا في حركة التاريخ، وعنصرًا مساعدًا على استتباب الأمن والسلام، وقوة دفع لاستقرار الحياة الإنسانية وازدهارها ورقيّها.

في تنوع الهويات وتعدد الخصوصيات ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم في إطار التعاون الإنساني القائم على قاعدتَي التعارف والتعايش، وإنما ينطوي هذا التنوع على عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية نحو امتلاك أسباب التقدم والرقي بحافز من التنافس الطبيعي، وبوازع من التدافع الحضاري. يقول "التويجري" معلقًا: "وما دامت الهوية بهذا الرسوخ في طبائع الأمم والشعوب، فلا سبيل إلى تجاوزها، أو محوها، أو انصهارها في بوتقة هوية واحدة مهيمنة ذات سيطرة ونفوذ، مهما كانت الذرائع وبلغت الأسباب والدوافع، فليس في ذلك فقط خروج على طبيعة الأشياء، وتمرد على سنن الكون وفطرة الحياة، وإنما في محاولة إلغاء هويات الشعوب بالقهر والقسر والإكراه، خرق للقوانين المتعارف عليها عند البشر، ومسّ خطير بقواعد القانون الدولي، وتهديد للأمن والسلم والاستقرار في العالم"، أي إن التعدد والتنوع والاختلاف أوجده الله للتعايش فيما بيننا.

التعايش بين الأديان

إن التعايش بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك وفيما يمسّ حياة الإنسان.

من هذه القاعدة حسب "التويجري" يمكننا الانطلاق في اتجاه تعميق البحث العلمي في إطار جهود مشتركة، للوصول إلى نتائج تدعم أسس التعايش الذي هو -في البدء والختام- التعاون بين المؤمنين في الأرض على ما فيه الخير والصلاح للإنسانية جمعاء. والبحث العلمي

hiragate.com

النزيه عن اتصال الأديان وآثار ذلك الاتصال، خطوة صالحة في سبيل السلام العالمي والأخوة الإنسانية.

إذن، فالتعايش بين الأديان، يجب أن يكون دعمًا للجهود الخيّرة التي يبذلها المجتمع الدولي، من أجل التعايش الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب، وأن يكون قوة دفع لهذه الجهود نحو تطويرها وإغنائها وتعميمها. وحتى يكون التعايش بين الأديان في خدمة السلام العادل، يجب أن تتحرر الأطراف المشاركة فيه من كل القيود والضغوط والارتباطات التي تتعارض ومبادئ هذا التعايش وأهدافه.

حوار الثقافات والحضارات ضرورة إنسانية

إن الحاجة إلى حوار هادف يقوم بين الثقافات والحضارات، تنبع أساسًا من طبيعة هذا العصر الذي اشتد فيه الصراع بين الدول والأمم والشعوب، وفشا فيه النزاع حول المصالح والمواقف والسياسات، واكتسى فيه تعامل البشر بعضهم مع بعض على عدة مستويان طابع العدة والضراوة، بينما تراجعت القيم الإنسانية السامية التي تحض على التسامح والتراحم، وتهدي إلى الإيثار ونشدان الخير.

وبقدر ما تعظم الحاجةُ إلى حوار جدّي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب، ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري، تقوم الضرورة القصوى لتهيئ الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار، ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والغايات المرجوة. يقول "التويجري": "ولعل قاعدة الاحترام المتبادل للأفكار والمبادئ والتصورات، والاتفاق على القدر الكافي من الموضوعية والجدّية وتحديد الأهداف بدقة متناهية، هي أقوى ضمان للوصول إلى اقتناع مشترك بحصيلة من النتائج التي من شأنها أن تعزز الجهود الإنسانية الصادقة التي تبذل من أجل تقوية أسباب السلم في مدلوله العام، وإلى تدعيم دواعي الأمن في مفهومه الحضاري العميق الشامل".

ومن ثم يمكن القول إن تحديد الأهداف الرئيسة والفرعية من عملية الحوار بين الثقافات والحضارات، شرط أساس لترتيب قائمة الموضوعات والقضايا التي يتعين أن يشملها الحوار. والحق أن طبيعة العصر بكل تفاعلاتها، تدعونا إلى أن يكون التعايش الثقافي والحضاري بين البشر، غاية تجتمع حولها عقول النخبة المفكرة وإرادات أصحاب القرار، وذلك من منطلق الإيمان بوحدة الجنس البشري أولاً، والتسليم بحق الإنسان في أن يحيا على هذه الأرض في وئام مع نفسه، وفي وفاق مع أخيه الإنسان، وفي سلام شامل ينعم بثماره ويحفظ كرامته الإنسانية.

ومن كل هذا يمكن القول، إن التسامح والانفتاح على الثقافات والحضارات، والحوار معها، والتعايش مع الأمم والشعوب الأخرى، والتعاون معها لما فيه الخير للبشرية قاطبة، سينتج عنه وحدة إنسانية قاسمها المشترك هو التآخي والتراحم والمحبة والصدق والمنفعة العامة. ■

(*) متخصص في الدراسات الإسلامية / المغرب.

حمزة بومليك*

النظرية التربوية
عند طه عبد الرحمن

من المؤكد أن بناء "النظرية التربوية الإسلامية" يحتاج إلى تأسيس فلسفي لإضفاء طابع المعقولية، مع الحفاظ على الثوابت الإسلامية التي ينص عليها الشارع. وللإشارة فإن "هذا التأسيس يتضمن المبادئ الأساسية التي تُبنى عليها هذه النظرية، والتي تجعل وجودها مشروعًا وبناءها معقولاً، والنظرية التربوية الإسلامية كغيرها من النظريات التربوية تحتاج إلى مثل هذا التأسيس".

النظرية التربوية الإسلامية تنظر إلى الإنسان نظرة شمولية على اعتبار أن تكريم الإنسان يرفعه إلى حمل رسالة وُجودية، الشيء الذي جعله متميز "بالتسديد الإلهي".

يضع طه عبد الرحمن شروطًا خاصة لبناء النظرية التربوية الإسلامية، وهي على النحو التالي:

- أن يكون التأسيس من داخل الدين لا من خارجه.
- أن يكون التأسيس مقيدًا بالتاريخ غير مستقل عنه.
- أنه تأسيس تربوي لا تأمل تجريدي.
- أنه تأسيس ضروري لا تعليل كمالي.

وبما أن "النظرية التربوية الإسلامية" تنبع من داخل الدين، وجب الأخذ بعين الاعتبار؛ الاعتماد على الوحي الإلهي كلبنة أولى وأساسية، حتى تتوافق الخصوصية الدينية مع الخصوصية الفلسفية، وبهذا يكتمل البناء الحقيقي. وتكمن قيمة التأسيس الفلسفي، في كونه "يسند عمقها التاريخي ويرد الشبه الواردة عليها، ويبرهن على مشروعيتها، بحيث لا يزيدها هذا الإسناد والرد والبرهان إلا مأصولية من فوق مأصوليتها".

ولأهمية "النظرية التربوية الإسلامية" عند طه عبد الرحمن، نجده لا يتوان في مدها بالجانب التقعيدي، حيث أرسى مجموعة من المبادئ التي تعد بمثابة أصول وأسس فلسفية متينة غاية في الأهمية، تحفظ للنظرية التربوية الإسلامية بقاءها واستمراريتها. وما يزيد هذه الأصول قيمة وضْعُه تحتها جملة من المبادئ لإغنائها بالتفصيل والشرح خدمة للقارئ حتى يتمكن من استيعاب مقاصدها، وفيما يلي نأتي على ذكر الأصل الأول:

ينبغي أن يكون كل مقوم تربوي إسلامي، عنصرًا ثابتًا ومستقلاً ومبدعًا، تنضوي تحت هذا الأصل مبادئ أربعة وهي "مبدأ الثبات"، و"مبدأ الاستقلال"، وكذا "مبدأ الحياة" بالإضافة إلى "مبدأ الإبداع".

يُعرج بنا طه عبد الرحمن إلى أصل ثان، وهو أنه ينبغي أن تشتغل النظرية التربوية الإسلامية بالتأصيل الإيماني للخطاب التربوي، بمعنى أنه كلما عرضنا الخطاب التربوي المتداول على "ميزان النقد الإيماني" تبين أن هناك آفات ثلاث ينبغي دفعها حتى تستقر "النظرية التربوية الإسلامية" في الشكل الذي أسس له طه عبد الرحمن. وفيما يلي الآفات التي دعا الفيلسوف المغربي إلى دفعها، الأولى؛ فصل الحداثة لكثير من المقولات والمسائل التربوية عن أصلها الديني. فالحداثة الغربية تشكل مظهرًا من مظاهر القطيعة مع الدين في الشؤون التي أنتجتها الحداثة، وعليه فقد اتخذ هذا الخروج عن الدين شكلين؛ إما الخروج الاختياري، أو الخروج الاضطراري. وبالنسبة لهذا الأخير يخضع لمنطق التاريخ، أما الخروج الاختياري يكون قد تقرر بموجب الثورة على المؤسسات"الكنيسة"، وبالتالي إيجاد مؤسسات بديلة لا دين فيها.

كل منقول حداثي معترض عليه حتى تعاد صلته بالحقيقة الدينية؛ وهنا ينحت طه عبد الرحمن مفهومًا يقابل مفهوم المواطنة وهو مفهوم "المخالقة"، الذي يعدُّ بالنسبة إليه مفهومًا مأصولاً ينهض بمقتضيات تربوية لا ينهض بها مفهوم المواطنة، كما نجده يحفظ الصلة بالدين وهي "المخالقة" في نظر طه عبد الرحمن، أنسب لسياق العولمة. في حين يرى أن المواطنة "لا تناسب توجهات النظرية التربوية الإسلامية، فيحتاج إلى أن تنقد هذا المفهوم ببيان وجوه انفصاله عن الدين"، وإذا كانت المواطنة تتقيد بوطن معين، فإن "المخالقة" لا تخضع لهذا التخصيص، وبالتالي يكون الحل هو "الدعوة إلى إيجاد أخلاق عالمية تكون قوام هذه المواطنة، مما يجعل مصطلح "المخالقة" أوفى بغرضهم من المصطلح الرواقي"، وهنا يقصد المواطنة العالمية باعتباره مفهومًا رواقيًّا أعيد إنتاجه.

الثاني "إهمال جملة من المفاهيم والأحكام التربوية الواردة في النصوص الدينية"، هذه المفاهيم ذكر منها -لا على سبيل الحصر- "الحكمة"، و"التدبر"،

hiragate.com

و"التفكر"، و"التذكر" و"الاعتبار" و"التطهر" و"الوقر"، و"الغشاوة" و"البصيرة"، و"الرؤية" و"الملكوتية" و"أولوا الألباب" و"الصراط" و"الميزان".

ينتقل بنا الفيلسوف المجدد إلى مبدأ آخر، وهو تجاهل التحريفات التي لحقت جملة من المفاهيم والأحكام الدينية الأساسية، وهو بذلك يقصد دور الاتصال بالثقافات، فيه من أسباب تفتح العقول، وتوسع الصدور الشيء الكثير. ولكن هذا قد يلحقه ضرر على مستوى أصول هذه الثقافة، مع بروز ثنائية التأثير والتأثر. وهذا ما يظهر جليًّا من خلال الانفتاح الذي شهدته الثقافة الإسلامية على الغرب، حتى إنها أصبحت تسلم بإصلاحات كأنها مقررة في الشرع. صاغ طه عبد الرحمن مبدأ أعلى ثالث، ومضمونه أنه ينبغي أن تجدد النظرية التربوية الإسلامية في المتعلم المسلم، الإنسان بكليته، فالنظرية التربوية الإسلامية تنظر إلى الإنسان نظرة شمولية على اعتبار أن تكريم الإنسان يرفعه إلى حمل رسالة وُجودية، الشيء الذي جعله متميزًا "بالتسديد الإلهي"، ومن هنا يمكننا الحديث عن "الإنسان الكوثر" وليس "الإنسان متعدد الأدوار" الذي نُقل عن الترجمة من اللغة الأجنبية، "فالإنسان الكوثر يجعل للإيمان دورًا جوهريًّا، بل ينزله منزلة الأصل الذي تتفرع عنه الأدوار"، ومنه فالخاصية المميزة للإنسان الكوثر، هي "الإيمان الدفاق"، كما أن إبداع هذا الإنسان الجديد إبداع مثور.

فقه الفسفة تنظير علمي

لا يختلف اثنان حول تفشي التقليد والتبعية في الفكر الإسلامي اليوم، حيث بات السمة الأساسية التي يتسم بها، وطه عبد الرحمن يدعو إلى ضرورة صياغة رؤية علمية كونية جديدة تقدمها النظرية العلمية الإسلامية إلى الإنسان، لتجاوز النمط الإتباعي، والقطع مع "الأفول الفلسفي" الذي يهدد الفكر الإسلامي، حتى يستعيد رونقه الذي غاب عنه قرونًا من الزمن، ومن خلال "علم القول الفلسفي" الذي يعنى بظواهر القول الفلسفي، يمكننا الوقوف على مدى أهمية "المناهج المقررة في مجال المعرفة"، من خلال الاعتماد على التعليل السبب والتعليل الآلي، وهما آليتان وظفهما طه عبد الرحمن للإحاطة بظروف إنتاج القول الفلسفي من جهة، والأدوات التي تستثمر في إنتاج القول الفلسفي من جهة أخرى، والمقصد عند طه عبد الرحمن من إنشاء قول فلسفي جديد، هو "مواجهة الفكر الفلسفي الذي يصادم المنظور الإسلامي للحياة، وامتحانه بالنقد من منظور مسلمات الرؤية الإسلامية".

ورغم اشتغال الفلسفة الإسلامية بعلم القول الفلسفي بشقيه القول الفلسفي وفقه القول الفلسفي، إلا أنها بقيت في منأى عن بلوغ الاستقلال والإبداع، وهذا راجع إلى اختلاف المجال التداولي الإسلامي عن المجال التداولي غير الإسلامي، "وعلى هذا، فإن القول الفلسفي من حيث هو قول لا يتخذ في المجال التداولي للمتفلسف المسلم نفس الصورة التي يتخذها في المجال أو المجالات التداولية التي ينقل عنها كالمجال اليوناني قديمًا والمجالات الغربية حاليًّا، وهو ينزل في مجاله نفس الرتبة التي ينزلها في هذا المجال أو المجالات الثانية، تبيان ذلك أن أحد مقتضيات مجال التداول الإسلامي، هو أن القول

فيه لا ينفك عن الفعل"، وهنا تكمن صعوبة تحقيق الاستقلال في الفكر الإسلامي.

قدم طه عبد الرحمن "فقه الفلسفة" على "فهم الفلسفة"، على اعتبار أن فقه الفلسفة يولد في النفس مهارة صناعية قد تنعدم في فهم الفلسفة بمعنى الجانب المضموني، كما أن فقه الفلسفة -بالنسبة إليه- هو من صميم التداول الإسلامي، بالإضافة إلى أنه يجد فيه نوعًا من الدربة التي تأخذ منحى آخر يميل إلى التطبيق. وهذا الجنوح إلى ما هو عملي، لا شك في أنه يسهم في بناء فلسفة تكتسي طابعًا إسلاميًّا، ولا تخرج عن المجال التداولي العربي الإسلامي.

الإنسان الكوثر

منذ القرون الوسطى إلى اليوم، نجد الفكر الإسلامي قد مر بفترات متباينة، ولعل أبرز هذه التحولات هي الانتقال من الإنتاج إلى الاستهلاك وبنهم؛ كل ما يأتينا من الغرب جازمين برصانته وبصدقية تنظيراته، وظل هذا التقهقُر يطبع مسار الفكر الإسلامي في مختلف مجالاته، الأمر الذي جعل مجموعة من المفكرين والفلاسفة على مر التاريخ الإسلامي يطرحون السؤال القديم الجديد: لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟ فتنوعت التفسيرات واختلفت الرؤى بين من يدعو إلى التقليد، وبين من يعارض فكرة التقليد، ويدعو بدوره إلى إرساء معالم التجديد، والخروج من هذه الربقة التي ظلت تلازمنا.

وغير بعيد عن هذا، نجد طه عبد الرحمن يطرح سؤالاً على درجة عالية من الأهمية، وهو "ما السبيل إلى رفع تحدي جديد عقل الأمة والإبداع في قولها، وتجاوز وضعية التأخر الثقافي والحضاري التي أصابتها منذ زمن بعيد؟". وهو سؤال قدم له الفيلسوف المغربي جوابًا مستفيضًا يمكن أن نقف عليه من خلال قسمين، الأول أنه لا سبيل إلى رفع التقليد الذي يخرج المسلم اليوم من وضع "الإنسان الأبتر"، المنقطع العطاء إلا باستقلال قوته التطورية من خلال إبداعه مفاهيمه الخاصة"، قصد بناء وتجديد تكوينه العقلي، و الثاني "أنه لا سبيل إلى دفع التقليد إلا بالكشف عن سر الإبداع وأسباب وقوعه في الأمم وعن آليات اشتغاله في النظر، مع بناء نموذج حي لفلسفة إسلامية أصيلة".

وقبل الشروع في تناول الإنسان الكوثر، يكون من الأجدر بنا الوقوف على مفهوم الإنسان الأبتر الذي يعرفه طه عبد الرحمن على أنه "الإنسان الذي لا يستثمر من قواه ولا يحقق من إمكاناته إلا قدرًا ضئيلاً، إما لتعطل بعض قدراته واستعداداته، أو لصرفها كلها في وجهة مخصوصة، أو لوجود ضيق في تصوره لمكنونات الإنسان الواسعة". أما الإنسان الكوثر فهو "بخلاف الإنسان الأبتر لا يكتفي بأن يستثمر كل قواه وملكاته، إحساسًا وجدانيًّا، بل يذهب بهذا الاستثمار للقوى والتحقق للإمكانات إلى أقصاها، بحيث يتاح له أن يتقلب في أطوار سلوكية مختلفة، وينهض بوظائف عملية متعددة، كل ذلك يورثه القدرة على أن يحقق التكامل لذاته".

وفي الختام، لا يمكننا إلا التنويه لهذا الجهد الذي بذله الفيلسوف المجدد طه عبد الرحمن في إرساء معالم "النظرية التربوية الإسلامية". فما أحوجنا اليوم إلى قطيعة إبستمولوجية مع الفكر الغربي في مجال النظرية التربوية، لبناء هذه الأخيرة على شروط تحفظ للدين الإسلامي مبدأ الشمولية والثبات.. ويرجع لطه عبد الرحمن الفضل في وضعه للأسس الفلسفية التي تغني النظرية التربوية الإسلامية، وهذا ما نجده في الفكر الطاهائي، من خلال دعوته إلى نهضة جديدة من داخل الدين لا من خارجه، حتى يتحقق الاستقلال من تبعات الآخر، وبالتالي يتحقق الإبداع الذي نفتقره اليوم في شتى المجالات، ويتحقق بذلك الهدف الأسمى، ألا وهو حمل الرسالة الوجودية والأمانة. ■

(*) باحث في الفلسفة والعلوم الإنسانية / المغرب.

المرجع

(1) من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ٢٠١٦.

hiragate.com

مجدي إبراهيم*

خطر يهدد العالم!

تُعدّ السكتة الدماغية من حالات الطوارئ الطبية، ومن المهم التعرف على أعراض السكتة، والحصول على المساعدة الطبية الفورية.. فكلما طال الأمد بالسكتة وظلت بدون علاج زاد التلف في خلايا الدماغ، وفي خلال الأربع إلى الست ساعات الأولى، يمكن تقديم العلاج الذى يُعيد تدفُّق الدم من جديد ويمنع حصول تلف دائم بخلايا المخ.

إصابة للأعصاب

السكتة أو الجلطة الدماغية (Stroke)، هي إصابة تحدث للأعصاب عندما يتوقف جريان الدم وتغذيته في منطقة من مناطق الدماغ نتيجة تخثُّر الدم، ويُطلق نفس الإسم على التوقف المفاجئ في الوظائف العصبية نتيجة اضطراب في الجريان الدموي الدماغي غالبًا ما يكون في شرايين الدماغ، وأحيانًا يكون في أوردة الدماغ.

جزء الدماغ الذي يحدث به الاضطراب في دوران الدم ونقص التغذية الدموية، يعاني بالتالي من نقص في الأوكسجين والسكر الواردين مع الدم، مما يؤدي إلى تلف وموت الخلايا

العصبية في هذا الجزء، مؤثرًا على وظيفة هذا الجزء من الدماغ.. وتُعتبر السكتة حالة طوارئ تستدعي تدخلاً طبيًّا ونقلاً فوريًّا إلى المستشفى، حيث يمكن أن تؤدي إلى ضرر دائم أو إلى موت في حالة عدم التشخيص الجيد والمعالجة السريعة.. فهي إصابة تحصل لجزء من الدماغ نتيجة توقف ضخ الدم إلى ذلك الجزء، مما يؤدي إلى فقد الوظيفة التي كان يؤديها.

والسكتة الدماغية تُعتبر من أهم أمراض الأعصاب، وذلك لأنها من أكثر الأمراض شيوعًا -خاصة بين كبار السن- كما يؤكد الدكتور مجدي دهب، أستاذ الأعصاب بكلية الطب جامعة الأزهر، ولما قد تُسبّبه من عجز حركي بمختلف الدرجات مما يؤدي إلى آثار سلبية على المريض وذويه نفسيًّا واجتماعيًّا، وتُسبّب أيضًا ضعفًا اقتصاديًّا كبيرًا على مُقدّمي الخدمة الصحية نظرًا لارتفاع تكاليف رعاية مرضى السكتة الدماغية. ويوجد حاليًّا أكثر من ٥٠ مليون مصاب بالسكتة الدماغية في العالم؛ فمعدل حدوث هذه السكتة في العالم هو ٢٠ مليون حالة سنويًّا، يموت منها ٥ ملايين. ومن مضاعفاتها الوفاة وأكثر ما تكون خلال الشهر الأول من حدوث السكتة، وخصوصًا خلال الأسبوع الأول من حدوثها، ثم العجز الحركي والعجز الذهني، والتشنجات وفقدان أو ضعف الذاكرة، والاكتئاب.

أسباب الإصابة بالسكتة الدماغية

قد يحدث في مرضى القلب تخثُّر في أحد خزانات القلب، أو فوق أي صمام من صماماته، ثم يحمل الدم

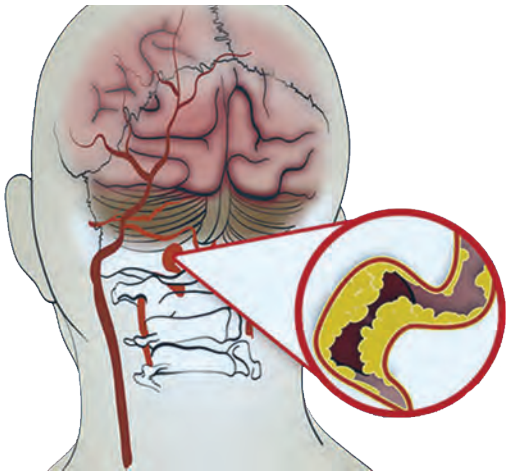

هذه الخثرة أو الجلطة (Glut) حتى إذا وصلت المخ استقرت في أحد أوعيته الدموية فتسدّه؛ وينتج عن هذا، انسداد يمنع جريان الدم فلا يصل إلى أجزاء المخ الذي كان يُزوّده هذا الوعاء الدموي بالغذاء والأوكسجين، وحينئذ يتعطل عمل هذا الجزء من المخ، وتتعطّل بالتالي كل الوظائف في الجسم الذي كان مصدرها هذا الجزء من المخ، وانسداد هذا الوعاء (Embolism) يقع بغتة، وعلى الفور تظهر كل أعراض السكتة المخية.

هناك سبب آخر للإصابة بالسكتة الدماغية بين المُسنّين نظرًا لضعف الدورة الدموية، وهذا يقع بسبب تخثُّر في الدم يقع في داخل الوعاء الدموي في المخ نفسه (Thrombosis) فيفسد به الوعاء. وهذه الحالات من المرض أهون وأكثر أملاً.. والشفاء من تلك السكتة التي تحدث بسبب نزيف في المخ نشأ عن تمزّق وعاء دموي فيه. إن أخطر صور للسكتة المخية وأكثرها شيوعًا، هي تلك التي تحدث بسبب تمزّق وعاء دموي في المخ. وإن الأوعية الدموية بالمخ يجري عليها ما يجري على الأوعية الدموية بسائر الجسم، وعليه يصيبها تغيرات تفسدها بعد منتصف العمر.. وهذه التغيرات تصيب الأوعية الدموية الصغيرة والكبيرة أيضًا، وتجعلها سهلة الكسر، وتجعلها أقل مقدرة في تغذية المخ، وهذا يعني أن مادة المخ المجاورة لهذه الأوعية يصيبها الفساد وتصبح ليّنة. وهذا الحال يرتد إلى الأوعية نفسها، إذ تفقد صلابتها التي كانت تغمرها من حولها، فتنثني هنا وهناك إلى التوسع والتمدّد والتوّرم، وحينئذ إلى خروج الدم من الوعاء وانسيابه في المخ.. وقد يكون هذا النزف قليلاً، وقد يكون في موضع من المخ لا يُسبب اضطرابًا كبيرًا -ولكن إذا كان النزف بسبب انفجار وعاء دموي كبير، وبالأخص إذا ارتشح الدم النازف إلى التراكيب المهمة الموجودة في قاعدة المخ، تحدث عند ذلك السكتة المخية وقد يعقبها الموت السريع، ولكن أيضًا قد يحدث أن الدم الراشح يمتصه المخ، وعندئذ لا تزداد الحالة سوءًا، ويمكن للمريض أن يتماثل للشفاء، ولكن يبقى غالبًا بعض الشلل الذي حدث نتيجة للسكتة.

ويمكن لمرضى السن المتقدّم أن يشعروا بميل لضغط الدم في المخ للارتفاع، ومن أمثلة ذلك الغلو في

hiragate.com

الطعام والشراب، والجهد الزائد الذي يبذله الجسم أو العقل، والانفعالات العنيفة ودفء غرف النوم وحرارة الشمس.. كل هذا قد يُسبّب الانفجار والسكتة المخية.

أهم الأعراض الشائعة

تختلف الأعراض بحسب المنطقة التي حصل فيها نقص في وصول الدم، فكل منطقة من الدماغ لها وظيفة معينة، كما أنه من المهم أن يعرَّف المريض وأقاربه أن الفص الأيمن من الدماغ يتحكم في حركة الجزء الأيسر من الجسم، كما أن الفص الأيسر من الدماغ يتحكم في حركة الجزء الأيمن، كما يجب أن يعلم أن منطقة الكلام فهمًا ونطقًا، هي في الفص الأيسر من الدماغ، لمَنْ يستخدم اليد اليمنى في الأكل والكتابة. وهنا نُسمي الفص الأيسر هو الفص السائد، ونسبته بين البشر ٩٥٪ في كل بقاع الأرض. أما الأعراض الشائعة لجلطة الدماغ، هى الفقد المفاجئ للقوة في الجزء الأيمن أو الأيسر من الجسم، أو ضعف في حركة عضلات الوجه في أحد الجزأين، أو صعوبة الكلام وعدم التعبير عن مشاعر المريض، وفقد الرؤية في إحدى العينين، أو ضعف النطاق البصرى في الجزء الأيمن أو الأيسر من مجال الرؤية.. وعندما تكون الجلطة في جذع الدماغ، فقد يصاحبها شعور بغثيان مفاجئ وصداع، ونقص في الوعي وإحساس بالدوران، واحولال النظر المفاجئ.

كذلك هناك أسباب أخرى لهذا المرض المخيف، منها:

أ- ارتفاع ضغط الدم: ويؤدي إلى ارتفاع الضغط في الشرايين وزيادة عمل القلب، مما يعيق تدفق الدم ثم الإصابة بالسكتة الدماغية.

ب- التقدم في السن: نتيجة الإصابة بالتصلب والنزيف في الدماغ.

جـ- البدانة وزيادة الوزن: مما يسبب تحميلاً إضافيًّا على القلب وعلى الفقرات والرئتين وعلى كل الوظائف الحيوية في الجسم.

د- البول السُكّرى: نتيجة لتخريب في جزر لانجرهانز نزفي في البنكرياس، مما يؤثر على إفراز هرمون الأنسولين الذى يُنظّم نسبة السكر في الدم، ولهذا أثره على جميع

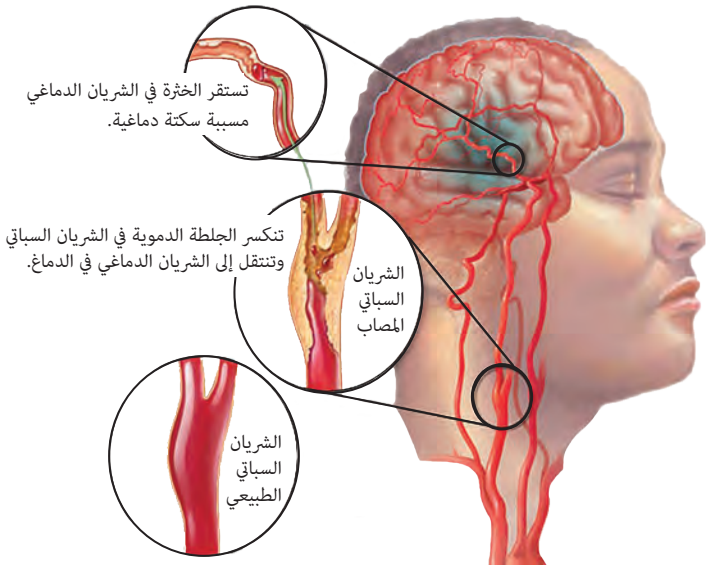

وظائف الجسم الحيوية، منها تأثيره في الأوعية الدموية، حيث يمكن أن يحدث نزيفًا داخليًّا. وازدياد نسبة السكر في الدم، سبب مساعد يُسرّع عملية تصلّب الشرايين. ومن الأسباب الأخرى لهذا المرض أيضًا، مستوى الكوليسترول في الدم، والتدخين الذي يُخفّض كثيرًا من نسبة الأوكسجين في الدم، وأقراص منع الحمل.

الوقاية والعلاج

تتمثل الوقاية من السكتة الدماغية في الخطوات الآتية: الاعتدال في الغذاء، والتقليل من الدهون المُشبّعة والأملاح، مع التركيز على الفواكه والخضروات وزيت الزيتون.

قطع التدخين تمامًا، والتحكم بسكر الدم بحزم، وكثرة الحركة والرياضة وترك الكسل والمشي السريع لمدة ساعة تقريبًا، وتناول الغذاء الصحى السليم. وتناول مضادات التجلُّط ومضادات تجمُّع الصفائح الدموية في بعض الحالات والتقليل من الضغط النفسي.. وينصح للمصابين بأمراض الأوعية الدموية وتصلّب الشرايين، بتناول أقراص الأسبرين التي تعمل على تباعد الصفائح الدموية وزيادة سيولة الدم.

وقد أثبتت بعض الأبحاث، أن الزنجبيل يساعد في زيادة سيولة الدم، ويقي من حدوث السكتة الدماغية، وكذلك زيت الزيتون الصافى. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

د. بركات محمد مراد*

ابن رشد

من الظواهر الإنسانية إلى الحداثة

قد اتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك، أن ابن رشد كان له تأثير كبير في تطور الفكر الأوربي، خاصة بدفاعه عن الفلسفة ودعوته إلى الاعتماد على العقل والتجربة، وانطلاقًا في براهينه على وجود الإنّيّة ووجود الله تعالى، استدلالاً من الطبيعة أو العالم الخارجي في تأسيسه للأبستمولوجيا والأنطولوجيا، مما مهد السبيل إلى الثورة العلمية الأوربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو ما يمثل عصر النهضة الأوربية، الذي سمح للغرب من الخلاص من أسر العصور الوسطى للانطلاق إلى العصر الحديث في ظل مفاهيم علمية جديدة شكلت عصر التنوير.

ولا شك أن الاكتشافات والاختراعات والأبحاث

الجديدة التي قام بها علماء ومفكرون، أمثال كوبرنيكوس، وكبلر، وغاليليو، وسبينوزا، ولابنتز، ونيوتن، قد أحدثت انقلابًا عميقًا وشاملاً في نظرة الناس إلى الكون والحياة والتمهيد لظهور المناهج العلمية الجديدة في مختلف المعارف والعلوم الإنسانية والطبيعية. ولم يقتصر تأثير ابن رشد في أوربا على الساحة الفلسفية، بل تجلى تأثيره أيضًا في ميادين الطب والعلوم، خاصة وأن لابن رشد إسهامات علمية جادة في كل من علمي الفلك والطب.

ومن هنا كان طبيعيًّا أن تؤثر أفكاره الفلسفية والعلمية على أوربا، وتكون عنصرًا فاعلاً في التنوير الأوربي الحديث، من حيث انطلاقة الفلسفة من أسر اللاهوت، والاعتراف بثنائية العقل الإلهي والعقل البشري، وبالتالي ثنائية الحقيقة (الرشدية في صورتها الأوربية) وانفساح المجال لانطلاقة العلوم الطبيعية والإنسانية، وإلغاء التوسط بين الخالق والإنسان عبر الكنيسة، وبالتالي إلغاء التوسط بين الحق الطبيعي (البشري) والحق الإلهي، وتصارع أو تصالح الفلسفة والدين المسيحي.

العلوم الإنسانية والموضوعية

إننا نجد هذا الاندغام والحركات الملتوية على امتداد فسحة واسعة من التاريخ الأوروبي، أسهمت أفكار ابن رشد العلمية والفلسفية في اختياره وبلورته في أشكال شتى. وفيما يتصل بالعلوم الإنسانية والاجتماعية أسهمت المعالجة العلمية التي قدمها ابن رشد في مؤلفاته خاصة، ومحاولته الاقتراب من الموضوعية في دراسة هذه الظواهر المتصلة بالإنسان وعلاقاته في تأسيس التوجه العلمي المعاصر، الذي أصبح يتناول الظواهر الاجتماعية والإنسانية بمناهج نقدية وعلمية يعوّل عليها في المقام الأول.

وقد تجلت موضوعية ابن رشد في نظرته للحقيقة الاجتماعية على أنها نسبية غير مطلقة، فهو يرى أن العلوم الإنسانية علوم نسبية غير مطلقة، لأنه يدرك بأن المجتمع مستمر بالتغيير وكل شيء يتغير وليس بثابت، وقال أيضًا إن علم الإنسان ينمو شيئًا فشيئًا، ويخرج من

إن توجه ابن رشد الفلسفي يصلح حقًّا في إرساء أسس فكر فلسفي معاصر، يؤمن لإنساننا انفتاحًا عقليًّا على الموروث والمستجد، والنهل من منهجيات العلوم كافة وتطويع اللغة، لاستيعاب الضرورات الثقافية والحضارية.

حراء

القوة إلى الفعل، فهو علم نسبي يبدأ بالإحساسات ثم ينتقل إلى الصورة والخيال، ثم يحدد المعاني الكلية ويستخدمها في استنباط المعلومات الجديدة. ولما صرح ابن رشد بأن الحقائق الاجتماعية نسبية وأن الإنسان يدركها بحواسه، أكد على استخدام العقل أيضًا في إدراك الموجودات من أجل التعرف على أسبابها، وهذا يعني نبذ كل ما هو وجداني وشخصي في البحث العلمي عن الحقائق.

ونلاحظ في هذا، أن ابن رشد لم يعط أهمية مطلقة للأحكام العقلية الصرفة وتجريدها من إحساسات الإنسان بواقعه ومحيطه، بل أدرك بأن الإنسان يبدأ بإدراك هذا الواقع عن طريق حواسه، ومن ثم تنبه إلى أهمية العقل في دراسة الواقع بشكل دقيق وواضح، دون تحيز وتعصب شخصي أو قيمي أو إقليمي، أي يكون دور العقل بمثابة المنظم والمحكم فيما إذا أرادت هذه الإحساسات أن تطنب أو تزيد من تأثيرها على تفكير الباحث ونظرته للواقع.

ابن رشد والسببية

إن السببية من المفاهيم التي وقف عندها ابن رشد طويلاً، فهي في نظر ابن رشد عنصر مهم في البحث والتقصي، وأن القانون وحده لا يكفي لتفسير الظواهر. وإذا نظرنا إلى علم الاجتماع نجده لا يكتفي بمعرفة كيف تتغير الظواهر بقدر ما يريد أن يعرف لماذا تتغير على نحو معين، من حيث أن العلم يهتم بالبحث في الظروف والشروط التي تتحكم في إحداث الظاهرة.

إذن ما قاله "أوجست كونت" في القرن التاسع عشر بخصوص قوانين المجتمع وأهميتها في دراسة

hiragate.com

المجتمع، وإهماله لمعرفة أسباب الظواهر ومسبباتها أمر خاطئ، وهذا ما أثبتته النظريات الاجتماعية المعاصرة، كنظريات الصراع عند "لويس كوسر" و"رالف دارندروف" و"نظرية النفوذ والسلطة" لبيتر بلاو، و"نظرية جورج هومفز" في التبادل الاجتماعي، ونظرية "روبرت مرتن" و"تالكوت بارسونز" في البناء الاجتماعي.

وهذا يوضح لنا أسبقية أفكار ابن رشد وأهميتها وعصريتها إذا قارناها بأفكار علماء الاجتماع الكلاسيكيين والمحدثين. وفي مجال آخر أكد ابن رشد أن لكل وجود علة أو علاً مترابطة ومتعانقة بعضها مع البعض الآخر في إحداثه، والمعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها وميز في الوقت نفسه بين عدة أنواع من الأسباب هي ثانوية، وحقيقية، وقريبة وبعيدة، وذاتية كامنة داخل الظاهرة، وخارجية أي خارجة عن الظاهرة.

وأوضح الأسباب الخارجية في إحداث الظاهرة عندما تكلم حول "القضاء والقدر"، الذي يمثل عند المسلمين عقيدة إيمانية في التأسيس له عقلانيًّا حينما قال: "إن هذه الأسباب تساعدنا على إتمام أعمالنا، وقد تقف في سبيلنا، بل تجبرنا في بعض الأحيان على أفعال معينة نعجز عن القيام بأضدادها.

ابن رشد والحرية

كذلك لم يهمل ابن رشد "حرية الاختيار" الفردية عند الشخص (عامل ذاتي داخلي) في ارتباطه بوشائج المجتمع، وهذا هو جوهر الأشياء ليقف على سبب أو أسباب الحقيقة في وجودها، لأن من لم يعرف حقيقة الأشياء لم يعرف حقيقة الاختراع على حد قوله. ولقد كان تفسير ابن رشد لحرية الإرادة الإنسانية تفسيرًا علميًّا دقيقًا، وكان يرى أن القول بالسببية لا يلغيها، وخلاصة رأيه أن الإرادة والشوق تبعثه فينا المؤثرات الخارجية، ولكن لما كان العالم الخارجي -بما فيه بدن الإنسان- محكومًا بالعلاقات السببية، فإن ذلك الشوق -أي الإرادة- إنما يتحقق عند مواتاة الأسباب الداخلية (داخل بدن الإنسان)، والخارجية (في الطبيعة)، وزوال الموانع.

هل يعني هذا أننا أمام ضرورة أو آلية عمياء؟ إن ابن رشد يجد مخرجًا علميًّا من هذه الضرورة، فيرى أن الإنسان كائن عاقل، وأن العقل -كما قررنا من قبل- هو إدراك هذه الأسباب. إذن، فإذا أدرك الإنسان مواتاة الأسباب لشوقه ذاك، أصبح قادرًا على تحقيق إرادته ومن ناحية حريته، وبالتالي كلما زاد علم الإنسان زادت حريته، وتحققت إرادته، ومن هنا كان ابن رشد يرى في نظرية "الكسب" الأشعري جبرية، من حيث إنهم لا يفرقون بين هذا الذي يسمونه كسبًا وبين الحركة الاضطرارية كرعشة اليد -مثلاً- إلا تفرقة لفظية والاختلاف في اللفظ -كما يقول ابن رشد- لا يوجد حكمًا في الذوات.

وهكذا يقدم ابن رشد تفسيرًا علميًّا للسلوك الإنساني تحكمه عوامل ذاتية وأخرى موضوعية بعضها قد يعود إلى الطبيعة والعالم الخارجي، وبعضها قد يعود إلى النظم الاجتماعية التي يعيش في ظلها الإنسان، خاصة وأن الإنسان المسلم يضع في اعتباره دائمًا تلك القيم الدينية الإسلامية التي يدين لها بالولاء، وتشّكل جزءًا أساسيًّا من عقيدته وقناعاته العقلية.

الحرية وحقوق الإنسان

هذا الفهم المتقدم لمفهوم الحرية الإنسانية، كان له تأثيره الذي لا ينكر في الغرب الأوربي في العصور الحديثة للوصول إلى مفهوم المساواة وحقوق الإنسان، وغيرها من المفاهيم التي دعمت الاتجاهات الإنسانية الحديثة. وإذا كانت الحداثة هي مرحلة تبلغها المجتمعات الإنسانية من خلال عملية التراكم التاريخي، والجهود التي يبذلها أبناء المجتمع في سبيل الخروج عن القصور الذي يقترفه الإنسان في حق نفسه وعجزه عن استخدام عقله وإمكاناته في سبيل البناء، فإننا نجد في فلسفة ابن رشد الأفكار الأساسية التي تدعم هذا المفهوم، وتؤكده في المجتمعات التي يتوفر لها الاهتمام الكافي لذلك.

إن أكثر ما تتطلبه الحداثة للنمو والبروز في أي حركة اجتماعية، الحرية بمعنى الاستخدام العلني للعقل في أمور المجتمع وقضاياه المختلفة. ولهذا نجد في التجربة الأوروبية، أن هناك علاقة طردية تربط مستوى

hiragate.com

hiragate.com

الحداثة مع انبثاق مبادئ حقوق الإنسان والفلسفة العقلانية وفكرة التقدم، وهي كلها أفكار سادت فلسفة ابن رشد، بل تمثل ركائز جوهرية في هذه الفلسفة.

فقد اتضح لنا أن فلسفة ابن رشد تحارب المذهبية الضيقة، وتسعى من خلال العقلانية والتأويل إلى تعدد الرؤى واختلاف الاتجاهات. ولقد انتهى الفهم الفلسفي المعاصر إلى أن الحداثة ليست صفة يتصف بها المجتمع أو شكلاً يتزيا به، وإنما هي مرحلة يبلغها المجتمع، ويدخل بتطوره النوعي الذاتي في نمط جديد من الحياة، قوامها الاستيعاب التام للحظة الراهنة التي يعيشها المجتمع في مختلف المستويات، وإدراك التطورات العلمية والصناعية والسياسية والاجتماعية.

ابن رشد وعالم منفتح

إن توجه ابن رشد الفلسفي يصلح حقًّا في إرساء أسس فكر فلسفي معاصر، يؤمن لإنساننا انفتاحًا عقليًّا على الموروث والمستجد، والنهل من منهجيات العلوم كافة وتطويع اللغة، لاستيعاب الضرورات الثقافية والحضارية. ويوم تنكشف للعقل العربي المعاصر أمثال هذه المواقف لتبني إحداها، تعود إلى تراثنا الفكري والفلسفي حيويته لمتابعة مسيرته مستقبلاً مطورًا وشموليًّا.

وقد تأكد لنا بعد تجربة طويلة مع الغرب الحديث، أن مفتاح الحداثة ليس في اقتفاء أثر الغرب في أموره وقضاياه، بل باستنفار الجهود العقلية والعملية الذاتية في اتجاه التطوير والنهضة. وكل تحديث لا ينطلق من الذات وإمكاناتها وآفاقها، سيتحول إلى مشروع يناقض الحداثة. فالتحديث ليس جملة المؤثرات الكمية في المسيرة الجمعية، وإنما هي صيرورة تاريخية اجتماعية، تلامس بالدرجة الأولى البنى الأساسية والجوهرية في العملية الاجتماعية بأسرها.

وقد توفر كثير من شروط هذا التحديث في أفكار ابن رشد وفلسفته، مع اهتمام كبير بالأبعاد الدينية والقيمية الأصيلة، وعندما أغفلها المسلمون في العصر الوسيط سقطوا صرعى التخلف والانحطاط. أما حضوره في المرجعية العربية والإسلامية المعاصرة، فسوف يؤدي إلى توقد ذهني، ويقظة فكرية تساعد على انبثاق نهضة عربية إسلامية تتجه إلى التجربة الحضارية الإنسانية لامتصاص النافع منها دون أن تسمح لعواصف التغيير القادمة أن تقلعها من جذورها وتقضي على هويتها.

فتوفر الفعل الحضاري في البنية الإسلامية يعني وجود مقومات البناء الذاتي والدينامية الطامحة إلى التطوير، والروح المعنوية اللازمة لكل عملية تغيير اجتماعي/ثقافي. وهذه شروط ضرورية لكل مجتمع إنساني، يتطلع إلى التقدم ويتجاوز كوابح نقيضه. ومثلما كان للكندي مناسبة فُضلى كشفت موقف المؤرخين، نقّادًا وفلاسفة من أول عملية تثاقف كبرى عرفتها الثقافة العربية، بين الإسلام وفلسفة اليونان وعلومهم (الدخيلة) وكان شظيتها الكبرى نشأة الفلسفة العربية الإسلامية.

فكذلك يعتبر اليوم الموقف من الإشكالية المركزية التي طرحها ابن رشد مباشرة وصراحة حول الحكمة الدخيلة (الفلسفة) بالشريعة الأصيلة (الدين)، المناسبة الحاسمة للفكر الفلسفي العربي والإسلامي المعاصر، لتحديد موقفه من عملية التثاقف الكبرى الثانية بين الثقافة العربية الخارجة من عصور طويلة من الانعزال (الانحطاط) والثقافة الغربية الأوربية المعاصرة، تلك الثقافة (الدرامية) التي تُعرف تحت أسماء عديدة، مثل "النهضة العربية الحديثة" أو "صدمة الحداثة" و"الغزو الثقافي الغربي"، الذي شكل الاستشراق أحد ميادين عراكه الثقافية. ■

(*) كاتب وباحث وأكاديمي / مصر.

المراجع

(١) مختصر تاريخ الطب العربي، إرنست رينان، بغداد عام ١٩٨٤م.

(٢) النظام الفلكي الرشدية والبيئة الفكرية في دولة مغرب الموحدين، د. كمال السامرائي.

(٣) ما بعد الطبيعة، ابن رشد.

(٤) كشف مناهج الأدلة، ابن رشد.

(٥) التحليل السببي للظاهرة عند ابن رشد، د. معن خليل عمر.

(٦) نظرية المعرفة عند ابن رشد، محمود قاسم.

(٧) نحن والفكر المستورد، الفلسفة العربية المعاصرة، د. هشام غصيب، بيروت عام ١٩٨٨م.

hiragate.com

د. عبد الكريم بناني*

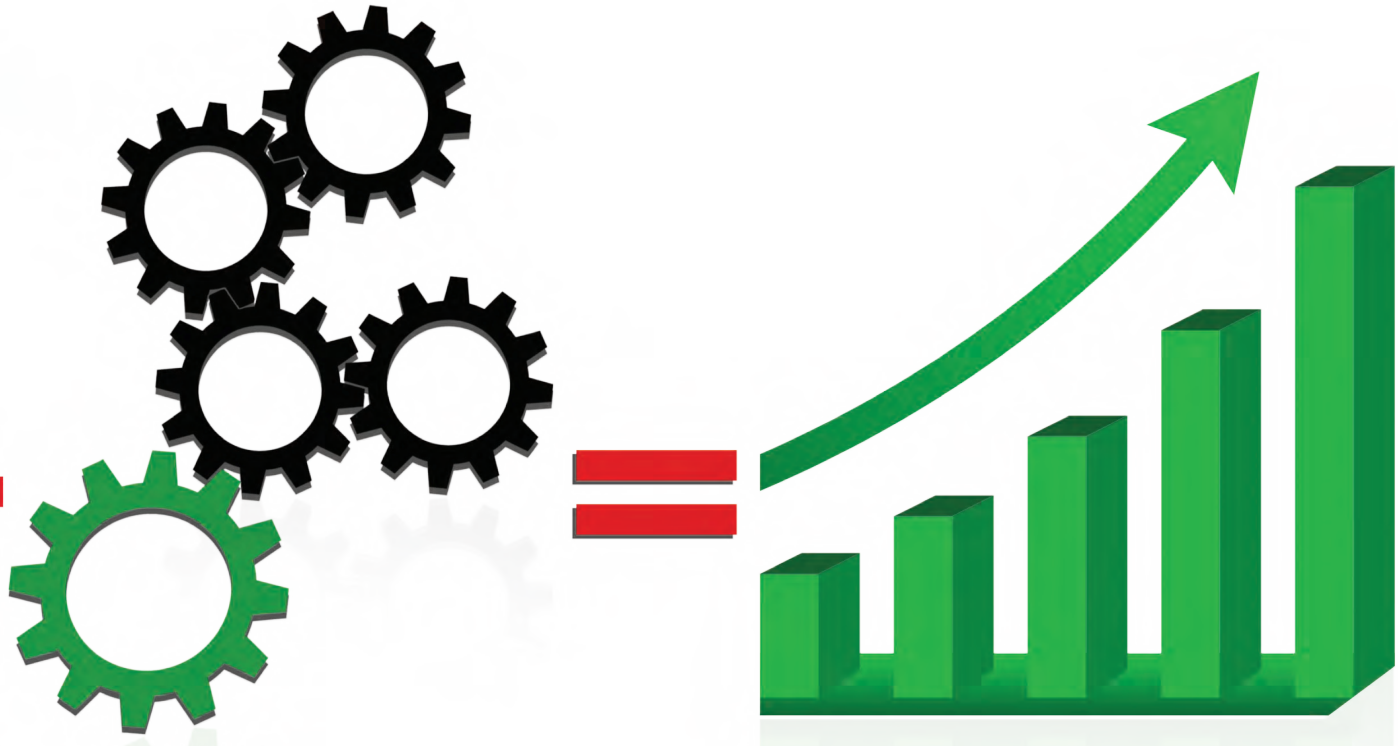

العمل الخيري
والتنمية الاقتصادية

إن دور العمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية، تتوسّع دائرته كلما انتظم واعتمد وفق رؤية عصرية تمكنه من إيجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية التي تعرفها المجتمعات المسلمة على وجه الخصوص، وهو الأثر الذي يتضح جليًّا وواضحًا وملموسًا في كثير من الدول العربية التي طوّرت من أساليب الاشتغال، وقنّنت الوسائل التي تعين في تحقيق التنمية المنشودة، والتي تعدُّ من مقاصد تشريع العمل الخيري عمومًا.

فللعمل الخيري قيم إنسانية كبرى، فهو سلوك حضاري يتجسد بشكل حي في "المجتمعات التي تنعم بمستويات متقدمة من الثقافة والوعي والمسؤولية، كما أنه يلعب دورًا مهمًّا وإيجابيًّا في تطوير المجتمعات وتنميتها. فمن خلال المؤسسات التطوعية الخيرية يتاح لكافة الأفراد

للعمل الخيري قيم إنسانية كبرى، فهو سلوك حضاري يتجسد بشكل حي في المجتمعات التي تنعم بمستويات متقدمة من الثقافة والوعي والمسؤولية، كما أنه يلعب دورًا مهمًّا وإيجابيًّا في تطوير المجتمعات وتنميتها.

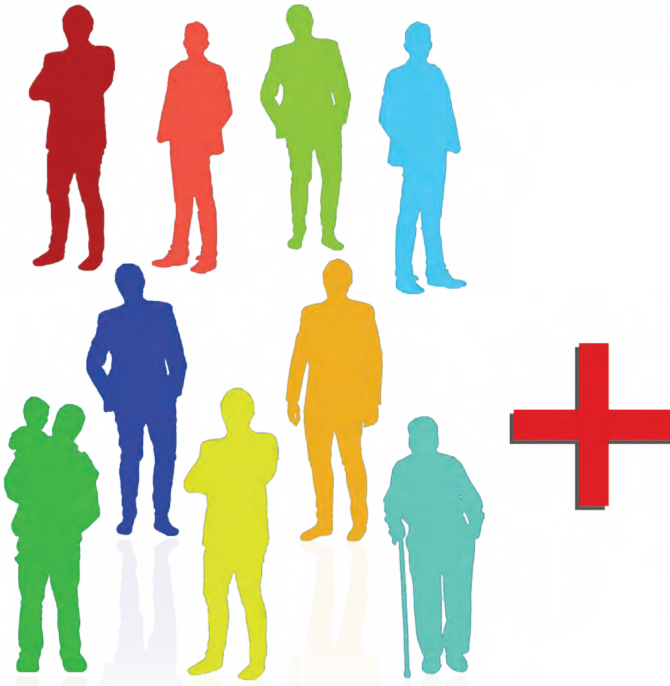

الفرصة للمساهمة في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمة، كما يساعد العمل الخيري على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين، ويشعرهم بقدرتهم على العطاء وتقديم الخبرة والنصيحة في المجال الذي يتميزون فيه". لذلك تزايدت أهمية العمل الخيري في الآونة الأخيرة لما تبيَّن من الآثار الطيبة المحمودة التي تتحقق للمجتمع.

العمل الخيري في التنمية الاقتصادية

اضطلع العمل الخيري بدور مؤثّر في مواجهة ما يكتنف العملية التنموية من مشاكل تمويلية تهدد نجاحها واستمرارها، ذلك أن لهذا العمل مقصدًا مهمًّا وأساسيًّا يتمثل في محاربة الاكتناز، وبالتالي توفير مورد مالي للأهداف التنموية عن طريق حركة المال وروجانها داخل السوق. "فالتصدق بالمال يقتضي تحريكه بين أفراد المجتمع وجعله دُولة بينهم، ولا يبقى مكنوزًا أو جامدًا فيفقد وظيفته الأساسية، ومن أجل ذلك حث الشارع الحكيم على الإنفاق، وجعله قرضًا بيد الله يضاعفه لصاحبه أضعافًا كثيرة، ويخلفه عليه ويبارك له فيه".

فوجود العمل الخيري ممثلاً في الوقف والصدقات التطوعية، يسهم جنبًا إلى جنب مع الزكاة -صدقة المال الإلزامية- في تحرير رؤوس الأموال العينية والنقدية من سيطرة حبّ أصحابها الفطري لها، فبينما تتجه أموال الزكاة إلى مصارفها المحددة شرعًا، "يعمل الوقف على تحويل رؤوس الأموال من أحباس عاطلة مكتنزة لدى أصحابها، بعيدة عن الإسهام في التنمية، إلى أوقاف لتحقيق التنمية من خلال مجالات محددة اجتماعيًّا واقتصاديا"، وبالتالي "تحويل لجزء من الأموال من الفئات الأكثر ادخارًا إلى الفئات الأكثر استهلاكًا، وهذا بذاته يدعم النمو الاقتصادي خلال مضاعفة الاستهلاك".

فالترهيب الإلهي لمن يكتنز أمواله، فيمنعها عن التداول وتحقيق النفع له ولباقي أفراد مجتمعه المستخلفين فيها، يدفع بالمسلم إما إلى استثمارها في شتى المجالات التنموية تحقيقًا للعائد الدنيوي، وإما إلى تخصيص نصيب منها إلى الاتجار مع الحق ﷻ وتحقيق العائد الذي يظل رغم مرور الزمان، ويبقى أجره بعد موت صاحبه. فالله ﷻ فتح لعباده بابًا واسعًا للإفادة مما جعلهم مستخلفين فيه من رؤوس الأموال، حيث يضمن العمل الخيري لصاحبه الثواب والأجر، فيكون ذلك دافعًا قويًّا للقضاء على الاكتناز المادي للثروات، واستبداله بتحقيق الثواب المستمر عند الله، وإسهامًا في تمويل المشاريع التنموية؛ قصد الوصول بالمجتمع إلى درجة التكافل المطلوب، تحقيقًا لمقصود الشارع من تشريع العمل.

وإن من ينظر إلى المشاريع التي تحققت وتتحقق

hiragate.com

بفضل الاستفادة من الأعمال الخيرية العامة والمتنوعة، يتوصل إلى معرفة الحكمة الربانية، أولاً في محاربة الاكتناز، وثانيًا في تشريع العمل الخيري، وكل ذلك ما هو إلا إسهام في العملية التنموية التي تعدّ قاطرة للتنمية الاقتصادية.

ولفهم الدور الذي يقوم به العمل الخيري في إيجاد حركية لرأس المال ورواج اقتصادي مهم، نجد أن بعض الدول الإسلامية اعتنت به، وأسست من خلاله ركائز أساسية وداعمة للمجتمع. فتنوع المشاريع المرتبطة بهذا الدور، يعكس بحق رؤية رسالية واضحة في منهج إعمار الأرض ومحاربة الاكتناز الذي يهدد سبل الاستقرار المادي عمومًا.

العمل الخيري في معالجة الظواهر السلبية

تتوقف ضروريات الحياة -من أكل وشرب وسكن وتعليم- على وجود مستوى معيّن من المعيشة، فلا يمكن تحقيق هذه الضروريات التي تمثل كليات الشرع، دون العمل على محاربة الفقر والهشاشة ورفع مستوى المعيشة، وهي الأهداف الرئيسية للتنمية الاقتصادية. فمعيار "قياس التقدم الاقتصادي عند كثير من الاقتصاديين متوسط الدخل الفردي، إذ هو أقرب المعايير لقياس مدى ازدهار المعيشة وتحسّنها".

والمتتبع للنظام الاقتصادي عمومًا، لا يخفى عليه التطور الملحوظ الذي أصبح يعرفه العمل الخيري، حيث ظهر في وقتنا الحالي كمنظومة متكاملة قادرة على إيجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية المعاصرة، بل ويسهم بشكل فعال وإيجابي في بناء دينامية اقتصادية جديدة، ويعرف تغييرات عدة على مستوى المفاهيم والوسائل والمرتكزات والبنيات.. فبالرجوع إلى كتب التراث الإسلامي نجد العمل الخيري -سواء الوقف أو الصدقات عمومًا- اقتصر تدخله في حلّ المشاكل الاجتماعية والإنسانية بالأساس، دون تحديد للأهداف أو تدبير محكم ومخطط له بطريقة تمكن من تحقيق التقدم الاقتصادي المنشود.

لكن ولظروف ترتبط بتطور المجتمعات، وجدنا العمل الخيري يقف عند أدوار مهمة في المجتمع، وينتظم بشكل عقلاني في إطار ما يسمّى بـ"المجتمع المدني"، حيث تأسست جمعيات ومراكز تسعى في أهدافها إلى تحقيق التنمية للمجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا.

العمل الخيري في محاربة الفقر

جاءت الشريعة الإسلامية متضمنة لمقاصد جليلة وعظيمة، أهمها التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد تحقيقًا لمعاني الأخوة الإسلامية، وأيضًا لرفع المعاناة والألم عن المحتاج والمسكين، حتى لا يصبح عالة على المجتمع، بل يسهم بدوره في تنمية محيطه ومجتمعه، ويصير هذا التكافل سمة من سمات المجتمع المسلم، وضمانًا لمجتمع خالٍ من الجريمة التي تهدد الأمن الاقتصادي والاجتماعي.

فالفقر حسب الدراسات الحديثة، عائق من عوائق التنمية الاقتصادية إن لم تتم معالجته بشكل عقلاني محكم، فكثير من الدول التي تعيش تحت وطأة الفقر، تعاني من مشاكل اقتصادية لا يمكن الخروج منها دون القضاء على الفقر الذي يهدد الأمن الاقتصادي لها.

وقد استطاع العمل الخيري، أن يقف عند المقصد الذي شرعت من أجله الزكاة فأسهم بشكل كبير في مكافحة ظاهرة الفقر، سواء من خلال تقديم المساعدات المالية المباشرة، أو عن طريق تقديم الخدمات للفقراء بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال تنمية مهارات الفقراء عن طريق التعليم والتثقيف والتأهيل.. كما وجدت أوقاف في البلاد الإسلامية، اعتنت بتوفير الطعام للمحتاجين، وحتى البذور للفلاحين لإنتاج الطعام. كما توجد بعض الأوقاف الأخرى، تعتني بتوزيع الخبز على الأيتام والأرامل وأبنائها، بغرض إقامة مصالح ضعاف المسلمين وقضاء حوائجهم التي لا تستقيم حياتهم إلا بها، لأن ذلك هو مقصود الشريعة الأعظم من التصرفات التطوعية والإلزامية.

وقد استطاع تدخّل العمل الخيري في هذا الجانب، أن يسهم بشكل كبير -وما زال- في مدّ العون لفئة مستضعفة في المجتمع قد يؤدي إهمالها إلى إضعاف اقتصاد الدولة، حيث يمكّن هذا العمل من خلق رواج اقتصادي بفعل حركية الأموال التي تتداول في يد

hiragate.com

الفقراء، فتؤدي إلى تداول السلع والأموال فيرتفع بذلك الإنتاج، "فما يوضع في يد مسكين سيشتري به خبزًا، والخباز سيشتري به قمحًا، والفلاح سيشتري به ثوبًا؛ والنسّاج سيشتري صوفًا.. وكلما مرّ بيد ترك رزقًا حسنًا، وذلك على المستوى الأدنى".

إن للعمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية دورًا مهمًّا ومتميزًا، حيث يساهم بتضافره مع الأسس الاقتصادية الأخرى، في معالجة ما يواجه تنمية المجتمع من مشكلات وظواهر سلبية تعرقل القيام بالعملية التنموية قصد النهوض بالمجتمع. هذا فضلاً عن مساهمته في تنمية القطاعات الاقتصادية المختلفة.

العمل الخيري في محاربة الأمية

لا يمكن لأي دولة أن ترفع تحدي التنمية الاقتصادية وشعبها يقبع تحت وطأة الأمية، لذلك كان للعمل الخيري الإسهام الفعال في تحقيق هذه التنمية من خلال العمل على رفع مستوى الوعي العام، ومحاربة الأمية بمستوياتها المختلفة، والدعوة إلى العلم والتعلم، "فبه تتكون شخصية الإنسان الفاعل فيكون عالمًا شرعيًّا أو عالمًا علمًا نظريًّا أو تجريبيًّا، أديبًا أو مؤرخًا أو مهندسًا أو طبيبًا أو زراعيًّا أو فيزيائيًّا أو جيولوجيًّا أو ميكانيكيًّا أو طيارًا أو عسكريًّا ماهرًا، أو غير ذلك.. وهكذا يكون فعل الخير محركًا للاقتصاد ونافعًا للبشر وجالبًا للاستقرار ودافعًا للخطر والضرر".

وقد وجدنا مؤسسات خيرية وجمعيات تؤسَّس لهذه الغاية، وتقوم بأدوار متميزة لتحقيق أهدافها، سواء تعلق الأمر بالأمّية القرائية أو الأمية المعرفية أو الأمية التكنولوجية، فإضافة إلى المؤسسات والمعاهد التي أنشأت وحبست عليها المحلات التجارية بهدف خدمة العلم والتعلم، وتحرير الناس من ربقة الأمية، نجد حاليًّا الكثير من الجمعيات الخيرية بالدول الإسلامية ترفع هذا الشعار، وتسهم في تطوير المجتمع اقتصاديًّا، من خلال إعادة تأهيل المواطن فكريًّا وعلميًّا. كما توجد مؤسسات ومراكز أيضًا تعتني بمجال البحث العلمي بأبعاده المتقدمة، إيمانًا منها في أن التعليم هو أحد أكثر الأدوات فعالية في كسر حلقة الفقر، وإنشاء مجتمع فاعل اقتصاديًّا، فلا سبيل إلى تحقيق تنمية اقتصادية في ظل مجتمع يعيش تحت ربقة الأمية والجهل.

العمل الخيري في علاج المرضى

لا يمكن الحديث عن معوقات التنمية الاقتصادية دون الحديث عن المرض الذي يؤثّر بشكل كبير في مردودية الموارد البشرية التي ترتبط بالتنمية الاقتصادية. إن "إسهام فعل الخير بتطبيب المرضى، يعتبر عاملاً مهمًا من عوامل التنمية الاقتصادية، حيث يسعف المرضى فيسهم بشفائهم حتى يقوموا بدورهم الحيوي في العمل والكسب والإنفاق على أنفسهم ومن يعولون.

وهذا المنحى لا يرتبط فقط بالتدخل المباشر في علاج المرضى، بل أيضًا ببناء المصحات والمستشفيات؛ "فإنه نفع كذلك للمصحات والمستشفيات، حيث ينشط الاقتصاد بذلك كثيرًا كما لا يخفى".

وقد قامت عند المسلمين على مرّ التاريخ، أعمال خيرية عنيت بتقديم المساعدات اللازمة للمرضى سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، حيث وجدنا من أوقاف المسلمين ومبراتهم ما يبيّن تجذر هذا الفكر في تاريخ الأمة.. فقد اهتم الوقف بمكافحة كثير من الأمراض لدى الإنسان، وذلك بإنشاء مستشفيات ومصحات يعالج فيها، سواء كانت تلك المستشفيات أو المصحات تتعلق بعلاج أمراض عضوية أو بعلاج أمراض نفسية أو عقلية.. ولقد بلغ من عناية المسلمين بالمستشفيات لكي تقوم بأداء الخدمات الكاملة نحو مرضاها بصورة متكاملة وتساهم في تطور صحّة المجتمع، أنه كانت ترصد لذلك المساهمات الكبيرة لبناء أحياء طبية متكاملة الخدمات والمرافق، كما تنشأ في العصر الحديث المدن الطبية، كمستشفى ٥٧٣٥٧ بمصر، والمختص في علاج سرطان الأطفال، حيث تم بناؤه عن طريق التبرعات الخيرية.

كما عملت جمعيات أخرى على الاستثمار في المشروعات الصحية، وخاصة ما يرتبط ببعض الأمراض المستعصية أو المزمنة كالسرطان، والقصور الكلوي أو السكري وغيرها من الأمراض. ■

(*) كاتب وأكاديمي / المغرب.

hiragate.com

علوم

د. ناصر أحمد سنه*

جرائم النيام

في مسرحية "شكسبير" الشهيرة "ماكبث"، سارت الليدي "ماكبث" في أثناء نومها ودخلت في حالة "ذهان عقلي"؛ لشعورها بالذنب جراء خطاياها التي دفعت زوجها لجريمة قتل أبيه.. عُرفت ظاهرة "المشي في أثناء النوم" منذ زمن بعيد.. فمن دون وعي أو إدراك ينهض بعض الناس من نومهم صغارًا وكبارًا، حيث تنتاب "ظاهرة المشي في أثناء النوم" بعض الأطفال حتى سن الخامسة

عشر. ومنهم من قد ترافقه طيلة حياته؛ ينهضون ويتجولون في البيت، أو قد يخرجون إلى الطريق ثم يعودون للنوم. ومن يشاهدهم مفتوحي العينين، يعتقد أنهم يرون كل شيء، فنظراتهم حادة وإلى الأمام، وخلال هذه الفترة من الاستيقاظ غير الواعي قد يحدث لهم ومنهم ما يحدث. لكنهم عندما يستيقظون صباحًا لا يتذكرون شيئًا. وبات معلومًا أن إيقاظ السائر أثناء

تناقلت الصحف بداية عام ٢٠٠٩ خبر قفز شاب يناهز ١٨ عامًا، من نافذة غرفته في الطابق السابع بمدينةٍ جنوب ألمانيا، فسقط قتيلاً، وكان معروفًا عنه أنه يمشي أثناء النوم.

نومه، لا يسبب له ضررًا على عكس الشائع، ويفضل إعادته إلى سريره بلطف حتى لا يؤذي نفسه أو غيره.

وفي غضون ذلك، يكون الدماغ الأوسط نشطًا وقادرًا على توليد تصرفات بسيطة كأنماط الأفعال الثابتة، وتتصف بكونها "بدائية" من حيث طبيعتها، ومنها الوقوف، والمشي، والأكل، والشرب، والتحدث ببعض الكلمات، ومشاهدة التلفزيون، والرسم، والرقص، والاستحمام، والعناية بالمظهر، وإرسال بريد إلكتروني برسالة منطقية، وقيادة السيارة، والهجوم الوحشي وارتكاب الجرائم أيضًا. وتكبح القشرة ما قبل الجبهية في الدماغ هذه الأنماط عادة عندما لا تكون ملائمة للظروف، أما خلال النوم الذي تكون حركات العينين فيه غير سريعة، فلا يقوم هذا الجزء من الدماغ بوظيفته، وتتحكم بهؤلاء الأشخاص الدوافع الغريزية، وردود الأفعال التلقائية.

مخاطر وجرائم

التعب والإرهاق قد يزيدان من احتمال حدوث السير أثناء النوم "السير نومي" (Somnambulism)، إضافة إلى عوامل الوراثة، والقلق، والتوتر، وتناول بعض العقاقير المخدرة والمنومة. وحينما ينهض النائم/السائر (ما بين ثلاثين ثانية إلى ثلاثين دقيقة أو أكثر)، فقد يفقد توزانه، فيتعثر أو يرتطم بقطع الأثاث. وقد لا يميز بين الباب والنافذة إذا كانت مفتوحة فيسقط منها. وهو ما حدث في "ميونيخ" عندما سقطت شابة تدعى "برليني" من شرفة منزلها في الطابق العاشر. وتأكدت الشرطة بعدم وجود شبهة جنائية وراء الحادث. وتأسف طبيبها النفسي لما علم بوفاتها، إذ كان يعالجها من مشكلة المشي خلال النوم. كذلك، تناقلت الصحف بداية عام ٢٠٠٩ خبر

hiragate.com

قفز شاب يناهز ١٨ عامًا، من نافذة غرفته في الطابق السابع بمدينةٍ جنوبَ ألمانيا، فسقط قتيلاً، وكان معروفًا عنه أنه يمشي في أثناء النوم.

وللمرة الأولي في تاريخ القضاء الأمريكي (عام ١٨٤٦)، استخدمت تلك "الظاهرة" للدفاع عن "ألبرت تيرل" الذي قتل امرأة بقطع رأسها. وقال محامي "تيرل" بأنه مصاب بمرض "الدفاع النائم"، ففعل ما فعل تحت تأثير النوم. ووافقت المحكمة على مرافعة الدفاع وأقرت بأن "المتهم غير مذنب".

وفي عام ١٨٧٠م، هبط أحد نزلاء فندق "كنتاكي" إلى البهو وأطلق النار على أحد العاملين، ثم خرج مسرعًا.. تم القبض على "فيان" واتهم بجريمة "القتل غير العمد لأنه كان نائمًا. وفي الاستئناف تم إبطال الحكم، حيث أكد التقرير الطبي أن "المتهم لديه تاريخ مرَضي طويل في السير في أثناء النوم".

وكان "برادلي" من "تكساس" يستعد للنوم، ووضع مسدسه أسفل وسادته؛ لشعوره بالخوف من التعرض لهجوم ما.. وبعد ساعات سمع الجيران صوت طلقات الرصاص في منزل "برادلي" الذي أفاق من نومه ليجد صديقته غارقة في دمائها.. ألقي القبض عليه بتهمة القتل، لكن محاميه أثبت أنه "فعل ما فعل بينما كان نائمًا".

وفي عام ١٩٨١ اتهم "ستيفن ستينبيرغ" بقتل زوجته في أثناء إحدى النوبات، وتمت تبرئته. واتهم الشاب الكندي "كينيث باركس" البالغ من العمر ٢٣ سنة، في جريمة قتل؛ حيث قام الفتى (عام ١٩٨٧م) بقيادة سيارته لمسافة ١٤ ميلاً، ليصل إلى منزل عائلته بالتبني، وهناك قتل والدته بالتبني بسكين المطبخ، وأصاب زوجها بجراح شديدة. أرفق محامي الدفاع تقارير طبية تفيد بأن "المتهم مصاب بمرض الباراسومنيا"، فتمت تبرئته.

لكن لما قتل "ريكسيغرز" زوجته (عام ١٩٩٤) حاول الدفاعُ تبريرَ الجريمة بشتى الطرق، فقالوا بأنه "كان نائمًا واستيقظ ليجد زوجته مقتولة والبندقية في يده"، لكن المحكمة لم تأخذ هذه الأقاويل بعين الاعتبار، وحُكم على "ريكس" بالسجن مدى الحياة، لكن تم العفو عنه بعد فترة من الزمن.

وفي عام ١٩٩٧، قام "سكوت فالاتير" بطعن رجل وزوجته ٤٤ طعنة بسكين صيد، وحين جرَّه إلى فناء المنزل الخلفي، شاهده أحد الجيران فأبلغ الشرطة.. واتهمته المحكمة "بتهمة القتل العمد"، لكنه برر ما فعله بكونه كان نائمًا. عثرت الشرطة على أداة الجريمة، والقفازات، وملابس ملوثة بالدماء كانت مخبأة جيدًا. لم تقنع المحكمة بأقواله، وتم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل من الدرجة الأولى.

وفي عام ٢٠٠١ قام "ستيفن ريتز" بقتل صديقته "إيفا وينفرونتر" في الأربعينات من عمرها؛ حيث حطم رأسها وشوه جسدها.. لكنه أنكر ما فعل، مؤكدًا عدم تذكره شيئًا مما حدث، وأنه مصاب بمرض "السير النومي"، لكن المحكمة لم تقتنع بدفاعه، وحكمت عليه عام ٢٠٠٤ بالسجن مدى الحياة.

وكان موقع إذاعة BBC البريطانية قد نشر (٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩) خبر قيام "برايان توماس" البالغ من العمر ٥٩ عامًا، بقتل زوجته "كرستين" (٥٧ عامًا). وهو الذي عاش معها أربعة عقود وأنجب منها ابنتين. وتعودا على التنقل والترحال بسيارتهما الكبيرة المجهزة. وفي إحدى الرحلات الخلوية شاهد حلمًا كأن لصًّا يقتحم عليهما الكابينة المتنقلة، فانقض عليه وخنقه، فلم يكن يدرك أنه يخنق زوجته. قام محامي "برايان" بالدفاع عنه: "إنها حالة استثنائية للغاية.. المشي في أثناء النوم". وقدمت تقارير طبية، وأدلة خبراء اضطرابات النوم.. وافقت النيابة على أن "تصرفات المتهم غير عمدية ولا يُحمل نتيجة تصرفاته وهو تحت تأثير تلك الحالة".

وفي عام ٢٠١٢ كان المُحقق "بورنمان" قد قام بتحري قضية جندي أمريكي ضرب زوجته بمسدسه عندما حاولت إيقاظه.. وبعد الواقعة، ادعى أنه لم يقصد مهاجمتها، وأنه لا يذكر ذلك البتة، وأن كل ما يتذكره هو أنه "كان نائمًا ويحلم بأنه يستعمل سكينًا لصد جاسوس يهاجمه".

وعلي أية حال، تحتل "جرائم القتل في أثناء النوم" العناوين الرئيسة في الصحف، وبعض الأعمال

hiragate.com

الدرامية.. ففي دراسة بمجلة "علم الأعصاب/ الدماغ" (عام ٢٠١٠)، سُردت ٢١ حالة بُرِّئ المتهمون في ثلث عددها. ويبقي أن العنف غير القاتل، وغيره من السلوكيات الخطرة والضارة في أثناء النوم، هي أكثر مما يخشاه الناس. فقد أظهرت نتائج دراسة بمركز النوم التابع لأحد مستشفيات سويسرا على ٧٤ شخصًا بالغًا يعانون من المشي في أثناء النوم، أن ٣٢٪ منهم سجلوا حوادث عدوانية، في حين سجل ١٩٪ تعرضهم لإصابات وجروح وهم نائمون، ولجأ ٤٠٪ إلى الصراخ العالي في أثناء الليل.

خَطل النوم محاولة للفهم

خطل النوم، مصطلح يصف السلوكيات غير العادية في أثناء النوم (باراسومنيا)، وانبثق عنه "طب النوم الجنائي". ويُقسم المختصون حالة "اللاوعي" إلى دورات نوم ذات حركات عين سريعة، وأخرى غير سريعة، وتنقسم الأخيرة إلى ثلاث مراحل جزئية. وغالبًا ما تحدث ظاهرة "السير في أثناء النوم" في الثلث الأول من الليل، وعند الفترة الانتقالية من النوم العميق إلى حالة الحلم. وتتزامن مع نشاط حثيث للدماغ فيؤدي إلى حالة من "اللانوم واللايقظة". ويتحمل المخ أكثر من طاقته، وتتنامى تيارات كهربائية دماغية تبقي الاتصال مع مركز الحركة مفتوحة، فيرسل حوافز عصبية إلى العضلات فينهض من نومه ويبدأ رحلته الليلية غير المخطط لها.

ولقد شكلت السلوكيات غير المشروعة في أثناء النوم، محط اهتمام اختصاصين بادروا إلى إنشاء "مكتب تحريات جنائية"، وتلته "رابطة طب النوم الجنائي الشرعي" (Sleep forensics Associates)، وهو معترف به في الولايات المتحدة، ويستعان بخبراته أمام القضاء عند اللزوم. وباشرت هذه الرابطة من خلال مكتبها، فحص أكثر من ٢٥٠ حالة. وتبدو أهمية عمل خبراء الرابطة في فحصهم مدى اضطرابات النوم لدى الجاني، وتأكيد أو نفي مسؤوليته عن أفعاله بحسب تشخيص حالته إيجابًا أو سلبًا. ولهم في ذلك أدواتهم العلمية والاستعانة بنظرية "النوم الموضعي" (Local sleep theory). وقد اعتمدها المجتمع العلمي عام ١٩٩٣ في ضوء تقارير الباحثين بجامعة واشنطن، وقد أحدثت ثورة في علم النوم. وأوضحت هذه النظرية أن أجزاء من الدماغ تكون نائمة، في حين تظل أخرى منتبهة.

وتبلورت في مقال (عام ١٩٩٣) شارك في كتابته "ج. كرويكر" من جامعة ولاية واشنطن في سبوكين، وأشار لوجود دليل واقعي على نوم الدماغ جزئيًا عند الثدييات الأخرى. فالدلافين تغفو بنصف دماغها فقط، وتسبح وإحدى عينيها مفتوحة. وراجع "كرويكر" أبحاث "آفات الدماغ" عند البشر، فوجد أن الإنسان يستطيع النوم مهما كان الجزء/الحجم المتضرر من دماغه أو المفقود منه. ويعد هذا حجة تنفي وجود منطقة مركزية لأوامر النوم في الدماغ. لذا ليست حالتا "النوم واليقظة" ظاهرة ثنائية الأوجه، بل تحصلان ضمن طيف من الخطوات. وإذا كان من الممكن للأشخاص أن يكونوا نائمين جزئيًا وهم -خلافًا لذلك- مستيقظون ظاهريًا، وجب أيضًا أن يكونوا مستيقظين جزئيًا في الوقت الذي يكونون فيه نائمين فعلاً.

وثمة إعجاز تشريعي في حديث رسول الله ﷺ: "رُفع القلمُ عن ثلاث: عن الصَّبي حتى يبلُغَ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يُفيقَ" (رواه أحمد)، ولم يكن أحد على عهده ﷺ يتصور "فرضية جناية النائم". كما لم تكن لها شواهد أو تجارب واقعية استدعت تشريعًا حاسمًا، لكنه -وهو المؤيد بالوحي- أكد على فرضية "جرائم النيام". ونص نصًّا تشريعيًّا رائدًا على "انعدام مسؤولية النائم الجنائية عن أفعاله حتى يستيقظ"؛ وذلك لانتفاء الإرادة والاختيار بفعل حالة النوم التي استغرق فيها حقًّا وصدقًا. كما قاس الفقهاء جريمة النائم -على فرض حدوثها- على جريمة المجنون. لقد كان على البشرية أن تنتظر قرونًا من الزمان، ليتكشف أمامها معجزة النص التشريعي. في ضوء تدخل شراح القانون الجنائي لبحث "مسؤولية أشخاص ارتكبوا جرائم وهم نائمون"، واستنادًا على بحوث علمية نشرتها كبرى الدوريات العلمية والطبية والجنائية المتخصصة. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

فتح الله كولن

الليالي السعيدة

أعتقد أننا نعاني من مشكلة كبرى في حياتنا اليوم، وهي أننا لا نعرف الله كما ينبغي.. لا نقدِّره حق قدره، لا نُحس بعظمته في وجداننا، لا نحبه فوق كل شيء.. عندما يخطر ببالنا أحدٌ نحبه تهتز عواطفنا شوقًا إليه، ولكن عندما يخطر ببالنا الله ﷻ لا يحصل هذا، حتى لو حصل فلحظة عابرة لا تكاد تمتد أو تطول.

لا نذكر الله كما نذكر الآخرين وتتحرك لهم مشاعرنا.. إنني أخجل من أن أوجه إليكم سؤالاً أرى فيه نوعًا من التعدي والخدش لمشاعركم.

العام يحتوي على ٣٦٥ يومًا وليلة، كم ليلة صحونا فيها وقلوبنا تتحرق شوقًا إلى الله، وهلعنا للسجود بين يديه، مرددين: يا رب اشتقت إليك، اشتقت إلى وصالك.. قلبي يتفتت شوقًا، قلبي يذوب عشقًا.. متى أوان الوصال يا الله؟ كم ليلة سعيدة كهذه من بين ٣٦٥ يومًا؟

كم ليلة احترقت فيها القلوب شوقًا، وفاضت عشقًا، وهمست

إلى مواضع السجود بكلمات لم تسمع من قبل؟ كم ليلة سعيدة ترقرقت فيها الدموع شوقًا إلى الله؟

فيروس يقتل روح أي عمل

على الناس أن يحذروا من تلويث ألسنتهم، لأن تلوّث اللسان من تلوّث القلب. ما لم يفسد القلب لا يفسد اللسان. فاسد القلب مشغول اللسان بالنقد والغيبة على الدوام. ولا يشفع له أن يقول "قلبي نظيف.. أنا أخدم لله.. أتحرى سبيل الخدمة".. لن يصدقه أحد. طهارة القلب تنتج كلمات طاهرة وأفكارًا نقية.

لننتج أفكارًا إيجابية، أفكارًا بديلة، لنطرح أفكارنا على الرأي العام ومجالس المشاورة، لندافع عن أفكارنا وفق الأصول، وبأسلوب يتوافق مع أدب النقاش والمناظرة. وإذا لم تلق أفكارنا قبولاً، فلنطرحها في وقت آخر مرة أخرى وبأسلوب آخر. لنعرض فكرتنا بأسلوب التصريف الذي يعلّمه القرآن لنا، ولكن لنتجنّب الغيبة، ولنبتعد عن النقد السلبي.. لأن ذلك يذهب بالخير والبركة من الخدمة التي نقوم بها.

لا خير في عمل تلوّث بالانتقاد والغيبة، بل لو كان عملنا بحجم عمل سيدنا جبريل عليه السلام وحظيتم بالخلود وعملتم مدة الأبد، وأخلصتم في عملكم أيما إخلاص، ووصلتم إلى القمة في الإخلاص، أقول لكم، وربما أقسم لكم، بل أقسم لكم، والله وبالله وتالله، لن تجدوا خيرًا ولا بركة من تلك الخدمة.

لو أن خدمتكم هذه قام بتمثيلها ملائكة من أمثال جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، وانتقدوا بعضهم بعضًا على فرض المحال، واغتابوا بعضهم بعضًا، فلن تحصّلوا خيرًا ولا بركة من هذه الخدمة.. تعملون ليل نهار، تقطعون الجبال والقفار، لكنكم لا تتقدمون قيد أنملة. ■

(*) الترجمة عن التركية: هيئة تحرير المجلة. وهذه النصوص مترجمة من دروس الأستاذ فتح الله كولن الخاصة.

سعيد سهمي*

الرقمية في التعليم
ورهان الجودة

١ لقد أصبحت الرقمية دون شك فلسفة العصر، وأصبحت معظم الدول التي تنشد الجودة في التربية والتعليم، تنزع إلى توظيف الرقمية باعتبار أهميتها في تيسير التدريس وتعزيز التعلمات. والمدرسة العربية اليوم، هي أحوج ما تكون إلى التحديث لإخراجها من الوضع التقليدي الذي عمّر طويلاً، ومن أجل اللحاق بالمجتمع العصري الذي تطغى عليه التكنولوجيا من كل جانب. وفي هذا الصدد، يبدو أن استعمال التكنولوجيات الحديثة، من أهم وسائل تحديث المدرسة العربية ونقلها إلى مستوى يساير تطورات العصر.

تحديث المدرسة بالموارد الرقمية

يلاحظ الباحث التربوي أن الهوة شاسعة في المدرسة العربية بين واقع المتعلم خارج المدرسة ووضعه في المدرسة، حيث إن المتعلم يترك في بيته وفي المجتمع والشارع، فضاء آهلاً بالوسائل التكنولوجية الحديثة من تلفاز وحاسوب وإنترنيت وغيرها، ويجب على المدرسة ليجد فضاء تقليديًّا يغزوه السبورة والكتاب،

ليسمع خطابات تُلقى من طرف الأستاذ بهدف هضمها واستعادتها في الامتحانات، بالشكل الذي كانت عليه المدرسة في العصر اليوناني أو الروماني.. وذلك ما يؤدي دون شك، إلى شرخ في واقع التلميذ بين ما يتعلمه في المدرسة وما يتداوله ويعيشه في حياته اليومية. ولهذا لا بد من أن تنخرط المدرسة في الرقمية، وذلك يتطلب إعادة النظر في التجهيز وتوفير الموارد الرقمية، ثم التكوين.

١- التجهيز

لا بد أولاً من تجهيز المؤسسات التعليمية تجهيزًا كافيًا، لنقل بنيتها من البنية التقليدية التي تكتفي بالإسمنت، إلى بنية رقمية تجعل التكنولوجيا إحدى أهم ركائزها، من خلال ربط المدرسة بالشبكة العنكبوتية، ومن خلال توفير الوسائط التكنولوجية بالنسبة للمدرس

لا بد في ظل الرقمية أن ترتقي المدرسة إلى واقع المتعلم، بل وأن تتجاوزه وتؤثر فيه بشكل إيجابي، إلى جانب تجديد الوسائل التربوية التي ينبغي أن تنطلق من واقع المتعلم، وأن تجعل المدرسة فضاء مفتوحًا على المجتمع.

حراء

والمتعلم معًا. وإذا كان البعض يرى ذلك مكلفًا، فإن التكلفة تكون أكبر عندما يتعلق الأمر باستنزاف الكتب الورقية والطباشير والبرامج والمذكرات المتوالية التي تعمل المؤسسات المركزية على إرسالها، والتي تتطلب جحافل من الموظفين. ففي ظل الرقمية يمكن أن تصل المستجدات إلى المدرس أو المتعلم أو مدير المؤسسة بنقرة زر وفي وقت قياسي، مما يسهم في تحيين المعلومات بشكل دائم بالنسبة للمدرس والمتعلم معًا، وهو ما يتطلبه العصر الحديث الذي يغرق في المستجدات، والذي يتسم بالسرعة وبكثرة المتغيرات.

٢- توفير الموارد التربوية الرقمية

الأمر الثاني الذي لا بد منه للانتقال الرقمي، هو أن يتم توفير الموارد التربوية الرقمية، وإذا كان الكثيرون يعتقدون أن الأمر يحتاج فقط إلى وسائل تكنولوجية حديثة مثل المسلاط (data- show) والتلفاز والإذاعة المدرسية وما إلى ذلك، لكي ننتقل إلى مدرسة رقمية، غير أن الأمر أبعد من ذلك؛ إذ يتطلب أيضًا أن تصبح الرقمية فلسفة تربوية من خلال التغيير في بنية التعلم وفضائه، فضلاً عن توفير الوسائط التكنولوجية الحديثة.

كما تحتاج المدرسة الرقمية إلى رقمنة البرامج (numérisation des programmes) بتوفير مصادر المعلومات والبرامج مرقمنة، ومن ذلك رقمنة الكتاب المدرسي والكتب الموازية التي كانت ورقية، لكي تنقل إلى الوسائط الإلكترونية. ومن خلال رقمنة البرامج التعليمية -بل لا بد من تحديثها لتواكب العصر- من خلال إدخال التربية الرقمية في كل المواد التعليمية، فالمحتوى الدراسي هو الأهم في هذا الصدد، وهذا يتطلب نخبة قادرة على هذه العملية التحويلية.

٣- التكوين المستمر

لا بد من تكوين المدرسين في الرقمية وفي طرق التعامل معها، تكوينًا مستمرًّا يواكب تطور الموارد الرقمية، وهذا ما نقصده بتعليم الرقمية الذي يمكنه أن ينتقل إلى المتعلم؛ فالمدرس التقليدي الذي لا يعرف كيف يفتح حاسوبًا أو يشتغل عليه، لا يمكنه أبدًا أن ينخرط في العملية إلا من خلال التكوين المستمر الذي لا تكفيه ساعات أو أيام أو حتى أشهر.. وإنما عبر تكوين مستمر ودائم طيلة حياته التعليمية، ما دامت هذه الموارد تتقدم وتتغير بتغير الزمان.. فلا يمكن انطلاقًا من هذا التكوين المستمر الذي يظل الرافعة الأساس للتحويل الرقمي إلى المدرسة، أن نغير الوسائل في حين نبقي على الأساتذة كما هم، حيث يكون الأمر أشبه ببناء مستشفى وتركه بدون طاقم طبي متخصص.

من التعليم بالموارد الرقمية إلى تعليم الرقمية

ما زالت جل المؤسسات التعليمية -للأسف- تعتبر المعلوميات مادة تعليمية ثانوية، لأننا في ظل الألفية الثالثة، ومع اقتراب العقد الثالث من هذه الألفية تكاد تتحول حولنا الحياة بكاملها إلا في المدرسة، حيث تظل راكدة. فالتعامل المالي والاقتصادي غزته الرقمية؛ تحوَّل الإعلام إلى الرقمية، وأصبح القطاع العسكري يعتمد على التكنولوجيات المتقدمة، وعلى المستوى الإداري أصبح الجميع قادرًا على أن يسحب موارده ومعلوماته الشخصية من الحاسوب، وفي التجارة أصبحت الصفقات تتم بهذه الصورة، وانفتح الطب على التكنولوجيا فأصبحت العمليات الجراحية تُجرى عن بعد.. أما في المدرسة التي تعتبر بوابة التغيير، فلا يزال المتعلم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسبورة والطباشير.

من جهة أخرى، فإننا بحاجة إلى تعليم الرقمية إلى جانب الإعلاميات، وتكوين المدرسين فيها، وفي كيفية استعمال الوسائط التكنولوجية التعليمية والموارد الرقمية بشكل صحيح، وكيفية ترشيدها من طرف المسؤولين.. ومسألة الترشيد هذه يمكن أن يعهد بها إلى هيئة المراقبة التربوية، وإلى إدارة المؤسسات التعليمية لمعرفة كيفية التعامل مع الرقمية، كما أن اللوحات الإلكترونية المرتبطة بالتلميذ، إن فتحت على الانترنيت للبحث، لا بد من التحكم فيها عن بعدٍ لمعرفة كيف يقوم المتعلم بالبحث لأنها مصدر تربوي.

إن القاصر في الواقع لا يمكنه -أو إنه لا يعرف- كيف يتعلم بالرقمية وكيف يستعملها، وتعليمه التعامل مع الرقمية أمر ضروري، من خلال فرض حصة دراسية أسبوعية أو حصتين من أجل هذه العملية. ومن جانب آخر لا بد من تخليق هذه العملية، لأن العديد من الناس -وخاصة المراهقين- يرون أن الموارد الرقمية مجرد وسائل للهو واللعب، ومن ثمة فإن اعتماد الكتاب المدرسي الرقمي أمر ضروري، لكي لا تصبح المعلومات أمرًا ثانويًّا، وإنما ضرورة لا بد منها حين تصبح الموارد الرقمية مصادر للتعلم ومراجع للبحث العلمي.

يتطلب الانتقال إلى الرقمية من المدرس العمل على إدراج أفلام تربوية يمكن للمتعلمين أنفسهم أن يبدعوها ويمثلوها في المدرسة، لأن تعليم الرقمية لا يقتضي اتخاذها كوسيلة، بل كثقافة تمتزج فيها الصورة والفيديو والصوت وغيرها، من أجل تنويع آليات التنشيط التربوي التي تساعد على تجويد العمليات التعلُّمية والرفع من مستوى المتعلمين.

وخدمة لهذا الهدف الذي يقوم على رقمنة التعليم، ينبغي للمدرس أن يعتمد على سيناريوهات بيداغوجية عوض الاعتماد على الإعداد التقليدي السردي للدروس. فالسيناريو البيداغوجي (le scénario pédagogique) في التعليم الرقمي، يقتضي من المدرس إعداد سيناريوهات تتنوع فيها الوسائل التكنولوجية وتخطط للدرس وفق مسارات متنوعة تعتمد في بناء الدرس وفي بناء العمليات التعليمية التعلُّمية على الرقمية بشكل أساس.

ما الذي نستفيده من الرقمية في مجال التربية؟

١- ربح الوقت: إن أهم ما يفيده المتعلم من الرقمية، هو الوقت الذي يعتبر أغلى من كل شيء، بحيث يصبح المتعلم قادرًا على أن يستثمر بشكل سريع المعلومات ويوظفها في وقت قياسي من خلال إحالته بشكل فوري على مصدر المعلومة.

٢- خلق الحافزية للتعلم: تتيح عبر الوسائط الرقمية

hiragate.com

hiragate.com

والتكنولوجية للمتعلم الرغبة في التعلم، بحيث يبتعد عن روتينية ورتابة النقل المعرفي الذي كان يعتمد على الكتاب المدرسي والسبورة إلى وسائط لا حصر لها تتخلق من ثقافة المتعلم الاجتماعية التي أصبحت تسيطر فيها الوسائل التكنولوجية الحديثة، وهو من شأنه أن يزيد من فضول البحث المعرفي وإيجاد نوع من الوئام مع هذه الوسائط الحديثة.

٣- الديمقراطية المعرفية: إن الرقمية وسيلة للديمقراطية في التعلم، باعتبارها تتيح للجميع الارتقاء المعرفي بعد أن كانت المعلومة محصورة عند المدرس، بحيث إن المدرس كان ناقل المعرفة ومصدر المعلومات، في حين كان التلميذ/المتعلم مجرد متلق، حيث صار الآن بإمكان المتعلم أن ينتقد ويفند ويحاجّ المدرس ما دامت المعلومة قد صارت مشاعة لدى الجميع، ويمكنه أن ينقل الارتكاز حو تعلم المعلومات إلى الإبداع وإلى إنشاء أجواء تربوية جديدة تسود فيها ثقافة النقد والشك المعرفي، وهو ما يجعل المدرس مجرد ميسّر للتعليم، في حين أن المتعلم هو من يبني تعلُّماته بنفسه، وذلك جوهر النظرية البنائية التي أسسها "بياجيه" (J. Piaget).

٤- تيسير التواصل: تيسّر الرقمية والوسائط التكنولوجية عمليات التواصل، وتجعلها أكثر رحابة من خلال التنويع في مسلسلات التواصل عبر أدوات متعددة ينتقل فيها الدرس من السبورة التفاعلية إلى المسلاط إلى البوربوينت (PPT) إلى الفيديو، وهو ما يجعل التواصل رحبًا وناجحًا.

٥- بناء شخصية المتعلم: وذلك من خلال إخراج المتعلم من المشاكل النفسية التي كانت تعترضه بسبب النظام التعليمي التقليدي الذي كانت تمر فيه العملية التعليمية بشكل عمودي من الأستاذ إلى التلميذ، لأن طرق التدريس الرقمية لن تكون نفسها الطريقة التقليدية، فلا بد لتيسر التعلم عبر الرقمية من سيناريوهات جديدة للتعلم، ولعل المُساعِدات الرقمية ستسهم بشكل كبير في كسر الحواجز النفسية بين المتعلمين وبينهم وبين المدرس.

٦- الاندماج التربوي في الحداثة: وذلك بتكسير الحواجز بين المدرسة والمجتمع، وتقليص الفارق بين مجتمع المتعلم الذي هو مجتمع تغلب عليه الآلة والتكنولوجيات عالية الجودة، والوسائل المعلوماتية المتطورة، بحيث إن المدرسة لا بد في ظل الرقمية أن ترتقي إلى واقع المتعلم، بل بإمكانها أن تتجاوزه وأن تؤثر فيه بشكل إيجابي وهو ما يتطلب، إلى جانب تجديد الوسائل التربوية؛ تجديد المناهج والبرامج التربوية، وإعادة النظر في طرق التدريس، وفي النظريات التربوية التي ينبغي أن تنطلق من واقع المتعلم، وأن تجعل المدرسة فضاء مفتوحًا على المجتمع.

انطلاقًا من كل ما سبق، يبدو أن الانتقال إلى الرقمية أمر ضروري بالنسبة لجميع الدول الراغبة في الارتقاء بالمدرسة وفي تحديثها، ويتطلب ذلك أن تصبح الرقمية بمثابة فلسفة تربوية وثقافة مدرسية واجتماعية، ولا يمكن تحقق ذلك إلا من خلال الإعداد الجيد للمدرسين، من أجل الانخراط في الرقمية عبر التكوين المستمر لهم في مجال الرقمية وفي مجال الوسائط التربوية، ولا بد من توفير الفضاء المناسب للتعلم، بتحديث المدرسة بكل مكوناتها اللوجستيكية والإدارية والتربوية. ■

(*) مفتش تربوي للتعليم الثانوي / المغرب.

hiragate.com

خلف أحمد أبو زيد*

لغة الجسد
في تحقيق التواصل الإنساني

يعتقد البعض منا أن الكلمات والجمل تمثل الجزء الأكبر والأساسي من طرق تواصل الأفراد فيما بينهم، بينما العديد من الدراسات والأبحاث تشير إلى أن الكلمات والجمل لا تمثل سوى ٧٪ من طرق توصلنا مع العالم المحيط بنا، ويذهب الجزء الأكبر إلى حركتنا وإيماءاتنا التي تترجم في عقول المتلقين دون وعي

منهم. يعد التواصل المرئي غير المنطوق بأنواعه المختلفة وصنوفه المتعددة، أداة هامة في إحداث التأثير والاستجابة في نفوس الآخرين.. فإذا كان الاتصال اللغوي واللفظي يؤدي دورًا هامًّا في مواقف اجتماعية متعددة لإيصال المعرفة بشكلها الصحيح، فإن نمط الاتصال المرئي لا يقل هو الآخر أهمية في توصيل الرسالة التي نريدها للآخرين بكل يسر وسهولة.

التواصل المرئي

التواصل المرئي لغة لا تستخدم فيها الكلمات، وإنما تشمل الحركات والإيماءات التي يقوم بها المرء في أثناء حواره مع شخص آخر، حيث يقوم هذا الشخص من خلال هذا النمط من التواصل باستقاء معنى محدد منه. ولهذا التواصل المرئي صور وأشكال متعددة، فهو يشمل البصر، ودلالاته والهمز واللمز والغمز، ولغة الوجوه، ولغة الإشارات وحركات الأعضاء، التي تعتمد على تحريك الجسد، مثل حركات اليد والأصابع والرأس والأرجل.. كما أنها تشمل الهيئة والنوم والمشي

شهدت أوروبا في عصر النهضة ثورة في استخدام لغة الجسد من خلال بعض علماء الفسيولوجيا الذين بينوا بعض دلالات تعبيرات الوجه وانعكاساتها على الجانب العاطفي أو الشخصي لدى الإنسان.

حراء

والسير والحركة، وغيرها من الحركات والإيماءات والرموز، ليفهم المخاطب بشكل أفضل الرسالة التي يُراد أن تصل إليه، الأمر الذي يسهم مساهمة فاعلة في تحقيق نوع من التقارب في العلاقات مع الآخرين.

أهمية التواصل المرئي

لقد اهتم علماء النفس والتربية والاجتماع والاتصال بهذا الموضوع المحوري، الذي يحقق الكثير من طرق التواصل والتجاوب بين الناس. وترى الدراسات أن للتواصل المرئي أهمية كبيرة، تتمثل فيما يلي:

أولاً: أن وجود العديد من اللغات والثقافات حول العالم، ينشئ أحيانًا فجوة في تحقيق التفاهم والتواصل السليم، ومن هنا يلعب التواصل المرئي -من خلال حركات الجسم- دورًا مهمًّا في بناء لغة مشتركة تجمع بين شعوب العالم كلها، قد تعجز اللغة الناطقة في توصيل الهدف المراد بنفس الدقة والقوة والدلالة.

ثانيًا: أن التواصل المرئي له أهمية في تنظيم وربط الاتصال بين المشاركين، ومثال ذلك حركة الرأس والعينين أو تغيير المكان إلى مكان آخر، أو إعطاء إشارة لشخص ليكمل حديثه أو يتوقف عنه.. وكلها تعد وظائف تنظيمية يقوم بها الاتصال المرئي، وتلعب دورًا حيويًّا في توصيل ما نريد للآخرين في يسر وسهولة.

ثالثًا: رسائل لغة التواصل المرئي تتميز بصدقها، حيث إن الإنسان عادة ما يحتاج إلى نماذج كثيرة للسلوك غير اللفظي من قبل الآخرين حتى يثق بهم، ومن هنا يتضح لنا أن لغة التواصل المرئي، ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل، إذ بها تكتمل العملية التواصلية لما

تؤديه من دور فعال في الإفهام والإفصاح والإيضاح والمصداقية والتأثير.

رابعًا: أن استخدام قناة ثانية للتواصل إلى جانب اللغة أمر ضروري ومفيد، خاصة إذا ما كانت هذه القناة التواصلية تحمل قدرًا كبيرًا من المعلومات التي تدعم اللغة، كما أن التعبير عنها بالألفاظ اللغوية أحيانًا يكون أمرًا مربكًا وغير ملائم. ومن هنا تكون لغة التواصل المرئي أكثر قوة للتعبير بها في بعض المواقف، لأن إدراكنا يتم مباشرة، وتكون الاستجابات غير اللفظية أكثر فورية، فتمدنا بأدوات جديدة لتفسير الكلمات التي نسمعها، الأمر الذي يسهم في فهم طبيعة العلاقة والأطراف المشتركة في عملية الاتصال.

خامسًا: يمكن الاستفادة من لغة التواصل المرئي بما تحمل من دلالات متعددة، من قبل الدعاة والتربويين ومراكز البحوث والتعليم، كمقوم تربوي ناجح ومهم في مناحي الحياة، لإيصال الأفكار للآخرين بطريقة أسهل وأيسر، وعاطفة أكثر.

عوامل تساعد في تقريب اللغة المرئية

ولكي تكون اللغة المرئية مفهومة لدى الآخر، وتأتي بالنتائج المرجوة منها في تحقيق أكبر قدر من التواصل الناجح مع الآخر، فمن المهم معرفة طبيعة الآخر الذي يتم التواصل معه، والسلوكيات اللفظية والعوامل الاجتماعية والوضع الثقافي المحيط به، حتى يتم استخدام الوسيلة الملائمة، التي تنسجم مع الموقف وتحدث أثرها المطلوب في نفسه.

التواصل المرئي والسبق القرآني

يرى البعض أن لغة الجسد أو فن التواصل المرئي، بدأ الالتفات إليه كلغة تحقق التواصل الإنساني في عصر النهضة الأوروبية، حيث شهدت ثورة في استخدام لغة الجسد من خلال بعض علماء الفسيولوجيا، الذين بينوا بعض دلالات تعبيرات الوجه وانعكاساتها على الجانب العاطفي أو الشخصي لدى الإنسان، الأمر الذي أسفر بعد ذلك عن ظهور كتاب "التعبير عن العواطف لدى الإنسان" سنة ١٨٧٢م، حيث كان هذا الكتاب بداية الطريق لظهور العديد من الدراسات الحديثة، التي تناولت تعبيرات الوجه واللغة الجسدية، كان من أهمها نشر "دجوليوس فاست" كتابه " لغة الجسد عام ١٩٧٠"، ثم توالت بعد ذلك الدراسات والأبحاث التي أكدت على أهمية هذه اللغة في تحقيق التواصل الإنساني. وإذا نظرنا إلى بذور هذا العلم، نجد له دلالات واضحة في القرآن الكريم. يقول دكتور "مهدي عرار" في كتابه "البيان بلا لسان": "يلقى القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات على أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلى معان، وقد تكون تلك الحركات سبيلاً من سبل وصف المعنى وتشكيله ويكون سببها الكناية، كتقليب الكفين في مقام الندم، أو تقديم رجل وتأخير أخرى في مقام الحيرة والتردد في كلامنا اليومي". ومن الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى هذا العلم قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(مريم:٢٩)، يقول المفسرون، في ذلك إشارة السيدة مريم عليها السلام على ما يؤديه الكلام من معان، لذلك فهم قومها منها أنها تطلب منهم أن يكلموا عيسى عليه السلام، لذلك قالوا لها متعجبين: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

إذن فقد مثلت الإشارة نوعًا من الاتصال عن طريق لغة الجسد، وهذا دليل على وجود التواصل دون كلام، كما حرص القرآن الكريم على تنويع طرق إيصال المعاني للسامع حسب لغة الجسد غير المنطوقة، وذلك لأهمية هذا العلم وقدرته المدهشة على توصيل الرسالة الربانية بأقصر الطرق، والوصول إلى عموم البشر في كل الأصقاع ومختلف الأزمان. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

المراجع

(١) لغة الجسد، بيتر كلينتون، نسخة الإلكترونية.

(٢) أدب الإسلام وعلم الاتصال، د. حسن رجب، كتاب الأمة، العدد ٢٨.

(٣) لغة الجسد في القرآن الكريم، أسامة جميل عبد الغني ربايعه، الناشر جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

(٤) لغة الجسد في القرآن الكريم، صلاح حسن رشيد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٩١.

hiragate.com

سمر فتحي السيد*

من هنا تبدأ الحياة

في الصباح الباكر استيقظتُ ظنًّا أني قد غفوت بعض الوقت، وعندما نظرت إلى الساعة ارتاحت نفسي؛ أخيرًا استطعت النوم مدة ساعة كاملة دون قلق، دون هلاوس سمعية، أسمع صوتها يناديني، من فوق الأفق تلوح لي بيدها متمثلة في أجنحة حمامات بيضاء.. تذكرني بخطيئتي، تحدثني عن الحب، عن لحيتي الطويلة التي تقبلها.. ليس لي

بدأت زخات المطر تلمع على وجهيهما، قفز الأب يصرخ وينادي، مطر مطر، ما أجمله.. بسمة هذا المطر أرسلته أمك إلينا من الجنة، شكرًا يا حبيبتي، شكرًا يا ملاكي الكبير، اطمئني ملاكي وملاكك الصغير بخير.

حياة

حيلة فيما مضى، والقادم هو حبيس الذكرى والخطيئة، الإثم والندم.. لا مجال هنا للحب.

اعتدت على الجلوس أمام البحر، أرتاح لحديثي إليه، أمواجه المتلاطمة تشبهني.. أمد بصري في الفراغ اللامتناهي، يرسل رسائله إلى حين تنهمر دموعي فأجد أمواجه تمتد وتتطاير قطراته على وجهي فتختلط بدمعي، وكأن الطبيعة وحدها القادرة على ترميم دواخلنا واستيعاب أرواحنا.

في طريقي إلى البحر لا أرى سوى بيت ناءٍ، فكرت كثيرًا أن أقترب منه علني آنس بصخب أصحابه.. كانت الفكرة تلح علي ولكني أتراجع.. فأنا الذي قرر أن يعيش منعزلاً عن العالم، كيف أعود إليه وأصدقه مرة أخرى؟!

قررت بعد صراع أن أقترب بحذر، أتابع عن بعد، لا سبب لذلك غير أنني أختبر ذاتي ورغبتها في البعد، أثبت لنفسي أن مجرد متابعة أحدهم سترهقني، لأعود كما كنت، دون رغبة، دون أمل، دون أنيس، دون نفسي.

اقتربت.. البيت ساكن إلا من حركات هامسة تثيرها الرياح المعبقة برائحة البحر، كلما زاد السكون ازداد قربي.. بعد ساعات قليلة رأيت شابًا يبدو عليه في الثلاثين من عمره، يحمل طفلة فوق كتفيه ويركض بها في كل مكان، تتعالى الضحكات فينشرح قلبي لهما، ثم ينقبض انقباضاته المعهودة، اثنان لا ثالث معهما.. ابتعدت عن البيت بالقدر الذي يجعلني أرى وأسمع ضحكاتهم العالية.. تركض الطفلة فيركض خلفها أبوها ضاحكًا، يلاعب عينيه فتلاعب عينيها له، ينحني فتعلو ظهره، يقفز متنقلاً.. يبتسم البحر لابتساماتهما.. اقتنعت بقول أحدهم إن السعادة معدية، إذا ابتسمت ستجد الكون كله مبتسمًا.

ظللت أتابعهما دون أن يروني، أو هكذا خُيِّل إلي.. في أثناء جلوسي مراقبًا متابعًا، شعرت بأنامل تربت على ظهري.. قبل أن ألتفت جلس بجواري وقال: أنا أيضًا أتابعك منذ فترة، لن أسألك عن شيء لكن بوسعك أن تسألني عن كل شيء.

تلعثمت.. كنت أحسب أنني اخترت مكانًا نائيًا، أتابع من أريد ولا يتبعني أحد.. قبل أن أتفوه بكلمة قال وعيونه تنظر إلى الأفق البعيد:

– كنت مثلك، آتي في الصباح لأصطاد، مبتعدًا عن صخب المدينة، محتميًا في أمواج البحر المتلاطمة، رغم حدتها وصوتها الذي يثير الخوف بداخلي إلا أنني اعتدتها وأحببتها.. كنت يائسًا بائسًا، موقنًا أن ما بقلبي لن يستطيع الزمن محوه، لكن بمجيئي هنا وجدت أن مرور الزمن وحده كاف للنسيان.

هنا قاطعته:

– كيف ننسى ما مررنا به ونحن لا نعيش إلا فيه؟ في الصحو يشغلنا، وفي النوم يؤرقنا، الأمر أعظم مما تتخيل يا سيدي، أعظم مما تتخيل.

تركته جالسًا وأنا أسحب قدمي في ثقل وأردد كلماتي: الأمر أثقل من تحمله.

تغيبت ثلاثة أيام، لم أحتمل بعدًا أكثر من ذلك، وذهبت خلف البيت بين صخرتين يصطدم بهما ماء البحر جلست أتابع.. بعد مرور دقائق قليلة جاءني صوته من الخلف:

– أيقنت أنك ستأتي لا محالة، هذا المكان ساحر، من يأتيه مرة سيأتيه للمرة الألف، هنا تستطيع أن تغسل روحك من دنس الحياة.. لن تفعل شيئًا سوى

hiragate.com

أنك ستشاهد فقط وتتابع من حولك، سآتيك مرارًا لأطمئن عليك.

تركني وذهب.. لا أعرف لماذا اهتم لأمرى، وما الذي سأشاهده هنا ليغسل روحي بمجرد النظر! من وراء البيت ظهرت الطفلة الصغيرة تركض وخلفها أبوها، يضحكان بصوت عال، على مقربة مني، ومن البحر بدأ حديثهما: أبي، من تحب أكثر، أنا أم الطيور المحلقة التي تأخذك عني؟

تغيرت ملامح الأب التي أتبينها جيدًا وقال في حزم طفولي: تسألينني كثيرًا عن حبي لك وللطيور المحلقة.. أنت تعلمين أنك نور عيوني، والقلب ينبض وينادي "بسمة بسمة بسمة".

سكت الأب.. اقتربت الطفلة منه تقبله وتقول: أنا أعلم يا أبي أنك تحبني كثيرًا، لكن هذا لا يمنع سؤالي.

بدأت زخات المطر تلمع على وجهيهما، قفز الأب يصرخ وينادي، مطر مطر، ما أجمله.. بسمة هذا المطر أرسلته أمك إلينا من الجنة، شكرًا يا حبيبتي، شكرًا يا ملاكي الكبير، اطمئني ملاكي وملاكك الصغير بخير.

رفع ابنته على صدره، ورفع وجهها للسماء وأكمل: ملاكك ينظر إليكِ، انظري يا بسمة إلى أمك في السماء.

بسمة صامتة.. تنظر إلى أبيها في صمت وتبتسم.. انتهت الزخات فهدأ الرجل.. وضع ابنته على رجليه وجلس ينظر إلى ماء البحر.. بدأت طفلته في تخليل أصابعها لشعر أبيها تنفض من عليه قطرات الماء العالقة فيه، وتعدل من ثيابه.. نظر إليها وقال: أمك لم تكمل حديثها معنا، ولم يستمر الماء الذي أرسلته طويلاً، بالتأكيد هي حزينة، فأنا لم أسق زهورها حتى ذبلت شجرة الورد، ما أرسلته يكفي لسقيها وحدها.. أنهى كلامه بحزن وأراح رأسه على كتف ابنته المحتمية من الهواء البارد في حجره.

تتعلق الابنة في رقبة أبيها ويستعيدان نشاطهما، ثم يعود الأب في حالة صمت ثانية.. تذهب الفتاة إلى الداخل تأتي بالطعام ويجلسان ليأكلان.. تطعمه كسرات خبز، فيطعمها الفاكهة ويقبلها بعد كل قضمة تقضمها.

لا أستطيع الحركة.. تؤلمني قسوتي مع ابنتي، أجر قدمي وأرحل بعيدًا وسرعان ما أعود في الصباح.. في كل يوم يلتبس علي أمرهما.. من المسؤول عن من؟ أم المسؤولية بالحب تتوزع ولا نستطيع تفرقة إذا كان الأب الموكل بحماية ابنته، أم الابنة كما يقولون دائمًا أم لأبيها!

غاب الرجل الذي أوصاني باستمرار المتابعة، وصرت أبيت الليل خلف البيت لا أتحرك عنه.. إلى أن جاء اليوم الذي نزلت فيه الفتاة إلى البحر وفي يدها دلو.. لم تستطع التمسك بالصخرة الملساء، انزلقت نحو الماء، نادت أباها، ركض نحوها، لم يفعل شيئًا سوى أنه اندفع نحو الماء وباتا يصرخان معًا وهو يرفعها بذراعيه لأعلى.. أسرعت إليهما، وصعدت بهما نحو اليابسة، يحمل ابنته بين ذراعيه، يجففها، ينادي عليها في فزع بعدما هدأت أنفاسها، يضع شفتيه على شفتيها، يلفظ أنفاسه بداخلها، عله يهبها حياة من داخله.. لا استجابة، يتركها ويركض بعيدًا يصرخ، يعلو صوته في السماء.. ينتفض جسدي، ينظر للسماء ويردد:

اتركها لي.. اتركها هذه المرة.. لا أريدها ملاكًا كما صارت أمها.. اقتربت منها لأجد صدرها يعلو ويهبط في بطء.. أنادي عليه، يأتيني: بخير.. ابنتك بخير.. ينظر إليها، تبتسم.. يركض بعيدًا، ينظر للسماء: شكرًا لك، شكرًا لك.. أنت دائمًا على عهدك معي.

أتركهما وأنا في حالة من التيه، أذهب عنهما لأجد الشيخ الكبير ينظر إلي ويقول: هذا الرجل في عمر ابنته العقلي، هو فقط يكبرها بعشرين عامًا جسديًّا.. أنت هنا لتتدخل في الوقت المناسب كما فعلت، أما أنا سأرحل واثقًا فيك، ولتعلم جيدًا أن الحياة تبدأ من هذا البيت. ■

(*) كاتبة وأديبة مصرية.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

أين توجد الحاسة السادسة؟

هناك أشخاص يتحلَّون بموهبة قراءة أفكار الآخرين وخواطرهم.. هذه حاسة يسميها العلماء حاسة الإحساس الفذ، أو الإحساس المسبق وهو التنبؤ. إنها الحاسة السادسة، وهي حاسة لا إرادية تظهر في بعض الأحيان. وقد سميت بالحاسة السادسة لأنها لا تَستخدم قنوات الحواس الخمس للتوصل إلى المعلومات، ومن خلالها تنتقل المعلومات من اللاوعي إلى

العقل الواعي. وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الحاسة السادسة لدى كل إنسان تظهر بصورة واضحة عند الشعور بالخطر، وتوجد فعليًا في جزء من المخ يتعامل مع حل الصراعات.

تقول "جيرترود شميدلر" أستاذة علم النفس بجامعة نيويورك، إنها قد استخلصت من دراسات أجرتها، أن أغلب الناس لديهم الحاسة السادسة، وعن طريقها تتحقق تخميناتهم أو استبصاراتهم -بشكل أو بآخر- خلال حياتهم اليومية.

وقد تتعرف أحيانًا على شخص وسيم لبق رقيق، لكن لا ترتاح نفسك إليه، بل على العكس ينتابك هاجس لا تدرك مصدره، ولا تعرف له سببًا ينفّرك منه، وكأنما هاتف من أعماقك يطالبك بأن تتجنبه.. وإذا ما توطدت علاقتك به، أثبتت لك الأيام صدق إحساسك الخفي الذي حذّرك منه.. وهذا أيضًا مظهر من مظاهر الحدس أو الاستبصار أو التنبؤ.

وقد ذكر "آرثر كوستلار" أن الحاسة السادسة إحدى اثنتين: إما أن تكون نابعة من قوى وقدرات ووظائف روح الإنسان، وهي بذلك قدرة تتجلى وتتفتح تدريجيًّا مثلما ينمو الحس والضمير والوعي درجة بعد درجة تصاعديًّا على سلم النمو والتطور.

وإما أن تكون على عكس ذلك؛ حاسة بدائية قديمة من خصائص الإنسان البدائي القديم، كان في أمس الحاجة إليها كوسيلة للاتصال، ثم ضمرت وتلاشت وحلت محلها أشكال الإدراك والاتصال الحسية الأخرى.. وفي كلتا الحالتين ينطوي الاحتمالان على احتمال ثالث، وهو احتمال بعث الحاسة السادسة من جديد عن طريق روحانية الإنسان، أي عن طريق تدريب وتقوية قواه الروحية.

وتفسير "كوستلار" السابق -على ما فيه من حيرة- يؤكد أهمية متابعة دراسة ظواهر البارا سيكولوجي عامة، والحاسة السادسة بصفة خاصة على وجه مكثف.

والحاسة السادسة موجودة لدى كل البشر، ولكن

أثبتت الأبحاث العلمية أن بعض الموهوبين يستطيعون التأثير على أفكار الغير فيوحون إليهم بفكرة ما، أو سلوك معين عن طريق الاتصال الخاطري الحسي البحت، كما يستطيع بعضهم قراءة أفكار الغير والشعور بالأخطار التي تحدق بهم.

بدرجات متفاوتة. وذلك يتوقف على بعض العوامل، مثل صفاء الذهن، وهدوء الأعصاب، واعتدال المزاج.. فكلما كان الإنسان في حالة جيدة تنشط الحاسة السادسة والعكس صحيح.

ويرى بعض الباحثين أن الإنسان كلما اقترب من الفطرة وكلما كان تلقائيًّا بسيطًا ومرتبطًا بالطبيعة، زادت الحاسة السادسة لديه؛ لأنه قد يعتمد عليها في أمور حياتية كثيرة. كما أن القبائل الإفريقية، وكذلك سكان أستراليا الأصليون، يعتبرون هذه الحاسة طبيعية، ويستطيعون عن طريقها توقع التقلبات الجوية ومعرفة أماكن المياه في الأرض، وبعض مظاهر تقلبات الطبيعة الأخرى.

ويتفاوت مسمى "الحاسة السادسة" لدى الناس ما بين الحدس، والبديهة العالية، على الرغم من أنها ليست كذلك بالمعنى الدقيق. فقد ميزها الفلاسفة والمفكرون عن الفراسة والذكاء والفطنة، لأنها لا علاقة لها بالعقل الظاهر، أما علم "الباراسكولوجي" فيرى أن مركزها العقل الباطن.

ولعل الحاسة السادسة هي ذكاء القلب وإحساسه المتقد، تبدو كذاكرة مؤجلة تأتي على شكل تخيل أو توقع نتيجة إحساس فطري لا إرادي، يمكّن صاحبه من توقع أمور أو حالات تومض داخله كبرق، تتعلق بما يخصه أو يخص الآخرين.. وبمعنى آخر هي إدراك

الأحداث التي ستقع دون استخدام حواسنا المعروفة كالبصر واللمس والسمع والشم والتذوق.

والحقيقة أن الحاسة السادسة هي جزء طبيعي من العقلية البشرية، وليست حكرًا على الأشخاص الموهوبين. وقد زود كل إنسان منذ اللحظة الأولى التي يخرج فيها للحياة بما يمكنه من الاتصال بالعالم الروحي، والذي يتخلص فيه من الجسم المادي ويسمو بروحه التي تحركه حيثما تشاء، وهي نفس النظرية التي استخدمت الإلكترون في نقل المعلومات عبر الأجهزة مثل التلفزيون والراديو.

وقد لوحظ قديمًا وحديثًا أن ثمة أعدادًا متزايدة من البشر من مختلف الأعمار، تبرز لديهم قدرات تمكنهم من القيام بأعمال يعجز عنها الآخرون، وتتجاوز المدى الحسي المتعارف عليه، وتحدث من غير وسائط حسية، منها القدرة على التواصل مع الآخرين تخاطريًا، ورؤية أحداث خارج المدى الحسي العادي ومعرفة أمور تحدث في المستقبل، والتأثير في الناس والأشياء الأخرى، والاستشفاء وتحريك الأشياء، وإلحاق الأذى بالآخرين، وتعطيل وتدمير الأشياء الأخرى.

أين توجد الحاسة السادسة؟

الحاسة السادسة مصطلح فضفاض يشمل الظواهر النفسية الخارقة، كالإلهام والتخاطر والاستبصار والرؤية عن بعد.. وما يزيدها غموضًا هو عدم اكتشاف مكانها داخل الجسم أو علاقتها بأي عضو فيه لدرجة تبدو دائمًا كفيض يرد من خارج الجسد المادي نلمس نتائجها من خلاله.

في كتابه "الحاسة السادسة" يقول الدكتور "جوزيف سينيل": "تعد الغدة الصنوبرية مصدر الحاسة السادسة في الحيوانات الفقارية والمسؤولة عن تواصلها من مسافات بعيدة، وبفضلها تنسق الحيوانات أعمالها، وتشعر الأم بالمخاطر التي تحيط بصغيرها ولو كان على بعد أميال. وقد دلت أبحاثي على مسؤولية هذا العضو عن التواصل الغريزي والاستثنائي لدى الإنسان. كما اتضح أنها في الحيوانات أكبر منها لدى الإنسان، ولدى الرجل البدائي أكبر منها لدى الرجل المتحضر، ولدى الأطفال أكبر منها لدى البالغين".

ومن الثابت حاليًا أن الغدة الصنوبرية حساسة جدًا للضوء، وتتأثر بالذبذبات الكهرومغناطيسية الضعيفة. وهي تقع في الحيوانات الثديية في مؤخرة الرأس (تحت الجلد مباشرة)، مما يتيح لها التفاعل مع الضوء والظلام. وبفضل حساسيتها للضوء -وزمن الإضاءة- تنظم حياة الكائنات تبعًا لتغير الفصول وطول النهار. فهي المسؤولة -مثلاً- عن توقيت سن البلوغ واليأس لدى الحيوانات، وهي التي تحثها على التزاوج في فصل الربيع أو بداية الصيف، بحيث تأتي المواليد بعد الشتاء.

أما لدى الإنسان فتقع هذه الغدة خلف عظام الجمجمة، مما يصعب وصول النور إليها مقارنة ببقية المخلوقات. ولكنها في المقابل تتأثر بالأشعة السينية والكهرومغناطيسية التي -بعكس الضوء- تستطيع اختراق العظام والتغلغل بداخلها. وبما أن دماغ الإنسان نفسه يصدر ذبذبات كهربائية وتموجات مغناطيسية، يعتقد بعض العلماء أن الغدة الصنوبرية مسؤولة عن

hiragate.com

استقبال هذه التموجات من أدمغة الآخرين والتواصل معهم عن بعد. كما يعتقد البعض الآخر من العلماء بأنها مسؤولة عن الظواهر النفسية الخارقة، وتلعب دورًا مهمًّا في توارد الخواطر، واستشفاف المستقبل، والإحساس عن بعد، والشعور المسبق بالكوارث.

وقد وصفها الفلاسفة الهنود بـ"العين الثالثة"، وقال عنها الفيلسوف الفرنسي "ديكارت": إنها الجهاز المنسق بين الروح والجسد". في حين ادعى بعض المتصوفة أنها تكبر بكثرة التأمل والسجود، وتضمر بكثرة الترف والبعد عن الله. وللعلم فإن محاولة تحديد العضو المسؤول عن الأحاسيس الخارقة، يعود إلى أيام أرسطو وأفلاطون، مرورًا بابن سينا وابن رشد.

الحاسة السادسة مذكورة في القرآن كما في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النمل، وهي موجودة لدى الإنسان والحيوان الذي يفزع ويهرب قبل وقوع الزلزال. إنها حالة روحانية بين الكائن الحي وربه يصعب تفسيرها علميًّا. ويسمى هذا النوع من الشعور في الإسلام "فراسة".

والجدير بالذكر أن هذه المقدرات والمنح الربانية للإنسان، لا تصطدم بمعرفة الغيب، لأنها تقرر مواقف وتستبصر أشياء خارجة عن نطاق الغيبيات، وهي صفات ثابتة يعرفها صاحبها وبعض من حوله مع علم التوسم كتوقعات بحدس الحاسة السادسة.

وقد أجريت دراسات مطولة في جامعة كاليفورنيا.. أثبتت هذه الأبحاث أن الإنسان يستطيع أن يرسل إشارات حسية للغير، كما يستقبل من الغير إشارات، أو يحس بأحداث أثناء وقوعها في مكان بعيد، بل حتى قبل وقوعها.. وأثبتت أيضًا أن بعض الموهوبين يستطيعون التأثير على أفكار الغير، فيوحون إليهم بفكرة ما، أو سلوك معين عن طريق الاتصال الخاطري الحسي البحت، كما يستطيع بعضهم قراءة أفكار الغير والشعور بالأخطار التي تحدق بهم.

ويكون الإنسان في أقصى حالات القدرة على الإرسال أو الإيحاء كلما اشتدت انفعالاته وهياجه الوجداني، بينما يكون في أقصى حالات الاستقبال والاستبصار عندما يكون راقدًا مسترخيًا على قدر كبير من الراحة وصفاء الذهن واعتدال المزاج وهدوء الأعصاب، وعناصر شخصية ونفسية أخرى متشابهة، مثل حسن التكيف الاجتماعي، والثقة بالنفس، والاستقرار الوجداني، وحسن العلاقة مع الآخرين، والنفسية المنبسطة، واتساع شبكة العلاقات، والإيمان بالله، ودماثة الخلق. ولعل في تفسير العامة لأسباب الغصة (الشرقة) ورفيف الجفون ما يساير هذا الرأي، علمًا بأنه تفسير قديم يتصف بالعمومية في معظم المجتمعات المحلية، ويعتبر من الموروثات الشعبية. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

المراجع

(١) لغة العيون، محمد عزت محمد عارف، دار الفضيلة، مصر.

(٢) موقع ما وراء الطبيعة الالكتروني، مقال الحاسة السادسة بقلم نسمة أبو الفتوح.

(٣) بحث عن الباراسيكولوجي، رينيه سودر.

hiragate.com

د. يحيى وزيري*

ماذا تعرف عن النحل العملاق؟

يعرف الجبل في اللغة العربية بأنه ما علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التل ارتفاعًا، ويعرف في الموسوعة البريطانية بتعريف يماثل تقريبًا التعريف السابق، مع تحديد أن ارتفاع الجبل يبدأ من ٢٠٠٠ قدم، أي حوالي ٦٠٠ متر. وعلى ذلك فإننا سوف نعتمد في دراستنا هذه، على أن المناطق الجبلية هي التي ترتفع عن ٦٠٠ متر فوق سطح البحر. وتحتوي سلسلة جبال "الهيمالايا" بقارة آسيا على أعلى قمم جبال الأرض كافة، حيث يتواجد بها أعلى جبال الأرض وهو جبل "إيفرست" والذي يصل ارتفاع قمته إلى نحو ٨٨٠٠ كم فوق سطح البحر.

١- نحل العسل

النحل العاسل يتبع فصيلة Apidae والجنس Apis وهو جنسها الوحيد، ويحوي على تسعة أنواع، منها النحل الكبير/العملاق (Apis dorsata)، النحل الصغير/القزم، النحل الشرقي/الهندي (Apis cerana)، النحل الغربي/العاسل (Apis mellifera). وتم تقسيم هذه الأنواع الأربعة تبعًا لحجم الأفراد، وطريقة بناء وهندسة الخلية، وطول الجناح الأمامي.

لقد تم رصد تواجد بيوت النحل العملاق (Gaiant Honybees) على ارتفاعات تصل إلى ٣٥٠٠ متر فوق سطح البحر في فصل الصيف، وتحديدًا النحل العملاق من نوع (Apis laboriosa Smith 1871)، بجبال الهيمالايا في نيبال، ويمكن أن يبحث عن الطعام حتى ارتفاع ٤١٠٠ متر، في حين تتواجد بيوت النحل العملاق من نوع (Apis dorsats Fabricius 1793) حتى ارتفاع ١٢٠٠ متر.

٢- النحل الطنان

يعتبر النحل الطنان من الحشرات الضخمة والكبيرة مقارنة بالعديد من الحشرات أو أنواع النحل الأخرى،

نحل العسل

فطول الجسم يتراوح ما بين ٧ إلى ٢,٧٠ مم.

لقد أوضحت دراسة أجريت عام ١٩٨٥ في كشمير، والتي أوضحت تواجد النحل الطنان (Bumblebees) على الجبال التي تبدأ من ارتفاع ١٨٠٠ متر وتصل إلى ٤١٤٣ مترًا فوق سطح البحر وتحديدًا على قمة جبل أفروات (Apahrwat)، وقد كان إجمالي أعداد النحل -ذكورًا وإناثًا- التي تم رصدها أكثر من ٢٠٠٠ نحلة.

كما أوضحت إحدى الدراسات الحديثة، وجود بيوت النحل من نوع النحل الطنان، في مناطق وارتفاعات مختلفة بجبال الهيمالايا بدولة "نيبال". وقد تم تحديد بدقة المناطق والارتفاعات التي تم رصد تواجد النحل بها، وقد لوحظ أن أكبر عدد من الأفراد والأنواع، يتواجد ما بين ارتفاع ٣٠٠٠ و٣٩٩٩ مترًا فوق سطح البحر.في حين أشارت دراسة قديمة نشرت عام ١٩٣٠، إلى أنه تم رصد هذا النوع من النحل الطنان على ارتفاع وصل إلى ٥٦٣٩ مترًا فوق سطح البحر.

وأخيرًا ففي دراسة حديثة نشرت عام ٢٠١٤، أوضحت أن للنحل الطنان قدرة مذهلة على التحليق والطيران لارتفاعات كبيرة جدًّا، يمكن أن تتجاوز قمة جبل "إيفرست" الشهيرة أعلى قمة في العالم بسلسلة جبال الهيمالايا.

فقد قام العالمان "مايكل ديلون" و"روبرت دادلي" بقياسات معملية توضح مدى قدرة النحل الطنان على

النحل الطنان

hiragate.com

نحل العسل العملاق

الطيران لارتفاعات عالية جدًّا، حيث وضعا ستة ذكور من النحل الطنان تم التقاطها من على ارتفاع ٣٢٥٠ مترًا فوق سطح البحر في منطقة "وايومنج" بالصين، وقاموا بوضعهم في مكعب زجاجي أبعاده ٣٠×٣٠×٣٠سم، ثم قاما بعد ذلك بالخفض التدريجي للضغط الجوي داخل المكعب الزجاجي بما يماثل ويتناسب مع زيادة الارتفاع، وسجلا قدرة النحل على الطيران على ارتفاعات عالية جدًّا، حتى استطاعت نحلتان الطيران في ضغط جوي يماثل الضغط الجوي الموجود أعلى قمة جبل إيفرست، وتحديدًا الطيران لارتفاع يماثل ٩٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

مميزات بيوت النحل في الجبال

يعتبر نحل العسل العملاق من نوع (Apis laboriosa)، هو أكبر أنواع النحل على الإطلاق، حيث يصل طولها إلى ٣ سم أو أكثر في بعض الأحيان، كما أنها يمكن أن تعيش في مناطق يصل ارتفاعها إلى ٣٥٠٠ متر فوق سطح البحر، ويطلق عليها أيضًا نحل سفوح الجبال (The cliff honeybees)، ويبني خلاياه الكبيرة الحجم على سفوح الجبال الفاتحة اللون بمنطقة الهيمالايا، والتي تصل مقاساتها إلى ١,٠٠م عرضًا و١,٢٠م ارتفاعًا، ولم يعرف عن هذا النوع أنه يبني بيوته في الأشجار.

٣- نحل العسل العملاق

أما نحل العسل العملاق من نوع Apis dorsata، فيتواجد في مناطق يصل ارتفاعها إلى ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر، ويبني خلاياه الكبيرة الحجم على نتوءات الصخور والأشجار المتواجدة بجبال الهيمالايا. ويستخدم هذا النوع من النحل أيضًا ما يقيمه البشر من مبانٍ وبخاصة عالية الارتفاع، لتعليق وتثبيت خلاياه، ويتراوح مقاسات أعشاشها من ١ إلى ١,٦٠م عرضًا ومن ٠,٨٠ إلى ١,٥٠م طولاً.

مميزات الخلايا المسدسة لبيوت النحل

تربى شغالات النحل العملاق في عيون سداسية متوسط قطرها ٥,٢٩مم، وبعمق يساوي حوالي ١٦مم، لأن طول شغالة النحل العملاق ضعف طول شغالة النحل الغربي. كما أن ذكور النحل العملاق لا تختلف في حجمها عن الشغالات، حيث تربى في عيون سداسية تماثل العيون السداسية التي تربى فيها الشغالات.

أما الخلايا السداسية المخصصة لتخزين العسل، فهي أكبر من خلايا الشغالات والذكور، حيث يبلغ متوسط قطرها ٦,٠٠مم، وبعمق أكبر من عمق خلايا الشغالات والذكور، وذلك حسب كمية العسل المراد تخزينه وحسب وفرة إنتاجه.

ويبني نحل العسل العملاق خلاياه السداسية على فرشة أساس غير سميكة من الشمع، لتسهل التصاق الخلايا بمكان التعليق (بروز جبل - فرع شجرة - أسقف بارزة)، وتكون الخلية عريضة من أعلى، ويتضاءل عرضها كلما بعدت عن مكان التعليق إلى أسفل. أما الشمع المستخدم فهو أكثر قوة مقارنة بالشمع المستخدم في الأنواع الأخرى.

hiragate.com

خلية العسل المسدسة

خلية العسل الأحمر

وإذا قمنا بعمل مقارنة مع مقاسات الخلايا المسدسة لكل الأنواع الأخرى، لوجدنا اختلاف مقاسات خلايا الشغالات عن خلايا الذكور، وبصفة عامة تكون أصغر في مقاساتها عن خلايا النحل العملاق.

من جانب آخر فإن طريقة بناء الخلايا تختلف في الشكل، كما أنها أصغر حجمًا، وأن بناء الأعشاش داخل التجويفات (Cavity nests) بأنواعها، يحد من زيادة حجمها كما في نحل العسل من نوع A. Cerana.

وبصفة عامة يمكن الإشارة هنا إلى أن الشكل المسدس يتفوق على غيره من الأشكال الهندسية الأخرى في إمكانية تجميع وحدات منه معًا دون وجود فراغات بينية، وهو ما ينطبق أيضًا على الشكل المربع والمثلث دون باقي الأشكال الهندسية.

ولكن بعمل مقارنة بين أحد الأشكال المسدسة والمربعة والمثلثة ذات المحيط المتساوي، فإننا نجد أن الشكل المسدس يكون أكبرها من ناحية المساحة، وهذا يعني أن استخدام نفس الكمية من الشمع لعمل خلية مسدسة أو مربعة أو مثلثة الشكل، تعطي أفضلية لمساحة سطح أكبر في حالة الخلية المسدسة. وهو يوضح لماذا يبني النحل خلاياه مسدسة الشكل دون باقي الأشكال الهندسية الأخرى.

ومن مميزات بناء خلايا النحل المسدسة أيضًا، أنه في حالة بناء صفين من الخلايا الرأسية، فإنها تتساند بحيث يميل كل صف لأعلى بزاوية تساوي حوالي ١٣ درجة، حتى لا يسقط النحل خارجًا من فتحة الخلية المسدسة. وبدراسة قاعدة كل خلية مسدسة من الداخل، يتضح أن لها شكلاً هندسيًّا مركبًا من ثلاثة مربعات تتجمع معًا بزاوية محددة، بحيث تقفل تمامًا قاعدة الخلية المسدسة من أسفل، مما يجعل التقاء الخلايا المسدسة معًا من الخلف قويًّا ومتماسكًا بدرجة كبيرة.

إنتاجية ونوعية عسل النحل العملاق

يتواجد نحل العسل العملاق بجنوب آسيا في بلاد الهند وماليزيا وسيلان والصين وأندونيسيا، ورغم أن هذا النوع غير مستأنس، فإن إنتاجه من العسل يشكل ما نسبته حوالي ٦٠-٧٠٪ في الهند ونيبال، كما أكدت العديد من الأبحاث على الإنتاجية العالية لهذا النوع من النحل، والتي تفوق كثيرًا الأنواع الأخرى. إن نحل العسل العملاق من نوع Apis laboriosa ينتج نوعًا خاصًا من العسل يطلق عليه "العسل الأحمر"، وله خصائص طبية مميزة عن باقي أنواع العسل، ويباع بسعر أكبر بكثير من باقي الأنواع. ■

(*) كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

المراجع

(1) Benjamin P. (2015). Comb Architecture of the Eusocial Bees Arises from Simple Rule Used During Cell Building. Advances in Insect Physiology.

(2) H.R.Hepburn et al (2014). Honeybee Nests. Springer- Verlag, Berlin.

(3) Jerzy Woyke et al (2012). Which mountain cliffs do Apis laboriosa honey bees select as nesting sites and why?. Journal of Apicultural Research 51(2): 193-203.

(4) J. Woyke et al (2004). Open-air-nesting honey bees Apis dorsata and Apis laboriosa differ from the cavity-nesting Apis mellifera and Apis cerana in brood hygiene behavior. Journal of Invertebrate Pathology 86 (2004) 1–6.

hiragate.com

عبد القادر جابر*

خلجات قلب

يا حاملاً هَمَّ الحياة وثِقْلها ... يَشكو وما مِنْ سامعٍ شَكْواهُ

ما هذه الدنيا بِدارِ سعادةٍ ... قد خَيّبَتْ مَنْ حَطَّ فيها رَجاهُ

في كل يوم تَغْتَدِي بِنوائبٍ ... قد حارَ فيها العابدُ الأوّاهُ

يا شاكيًا من كل شيء حَوْلهِ ... حُلْوُ الحياة ومُرُّها أَشْباهُ

ناداك داعي الحق لَبِّ نِداهُ ... واتركْ هَواكَ ولا تُلبِّ سواهُ

كم من عظيمِ الكرْبِ جاءكَ غاشيًا ... فَدعَوْتَه مُتضرعًا فَجَلاهُ

إنَّ الدعاء لِداء كلِّ مصيبةٍ ... أعْيَىْ على أهلِ الدّواءِ دَواهُ

ويقينُ قلبكَ بالإله يَقيك مِنْ ... خَطْبِ الليالي إنْ رَماكَ بَلاهُ

فَجِّرْ دموعَكَ إنْ وقفتَ ببابهِ ... واسألْهُ في غَسَقِ الظلامِ رِضاهُ

وإذا رأيتَ القومَ في عَثَراتهِمْ ... ضَلُّوا الطريقَ وفي الغِوايةِ تاهُوا

فالْزَمْ بيانَ المصطفى وطريقَهُ ... لولاهُ ما عُرفَ الهُدى لولاهُ

واجعلْ مِنَ الصبرِ الجميلِ مَذاهبًا ... فالصبرُ تُحْمَدُ في الوَرَى عُقْباهُ

وعلى المَشُوقِ إذا أراد القُربَ أن ... تُهْمِي مَدامِعَ شَوقهِ جَفْناهُ

مَنْ باتَ يَلهجُ قلبُه ولسانُهُ ... بالذكرِ شَوقًا لِلّقا أَدْناهُ

(*) شاعر سوري.

hiragate.com

د. أحمد البوكيلي*

التربية العمرانية وصناعة الإنسان

لا بأس قبل الحديث عن الإطار الفلسفي والعقائدي الناظم لأصول البناء الحضاري والإحياء العمراني للأمة من خلال كتاب "ونحن نبني حضارتنا" للعلامة فتح الله كولن حفظه الله، أن نشير إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أننا لسنا فقط أمام مفكر متخصص في التنظير الحضاري أو أمام عالم مربّ مهتمّ بالشؤون التربوية والتزكية الروحية فقط، وإنما نحن إزاء شيخ رباني عارف بالله تعالى، وفيلسوف روحاني عاشق للحقيقة، يتلذذ بالحكمة ويحترق وجدانيًا همًّا وحزنًا على أمته ليبعث فيها الأنوار الإلهية، ويحرك فيها الفطرة النائمة والطاقات المنسية، والقدرات المهملة.

من التجزيئي إلى الكلي

إنه يؤلف ليتذوق جمالية العبودية لله تعالى بالتسبيح الروحي والتأمل المعرفي والسجود العقلي للغرق في بحر آيات الله، سواء منها المتجلية في القرآن المسطور، أو في الكون المنظور. كل هذه الخصائص أعطت للكتاب طابعًا متميزًا تمتزج فيه لغة التأصيل العقدي لقواعد البناء العمراني بالفلسفة المقاصدية الخاصة بتقعيد إطار الرؤية التوحيدية الكلية للوجود، وعلى رأسها بيان جمالية الإعجاز التشريعي للمقاصد العقدية المشكّلة للمنظومة الإسلامية، ونعني بها نسقية العلاقة الرابطة بين المقصد التوحيدي للتزكية الروحية والصناعة الإنسانية بالمقصد العمراني، باعتباره يمثل التجلي الكلي لمجال التفاعل بين هذه العوالم الإيمانية والعرفانية والعمرانية.

وعليه، فكما يشكل هذا الكتاب بفصوله المتنوعة، الأرضية النظرية لبسط الاجتهادات التنظيرية والتوجيهات التربوية والمقاربات العلمية لقضية الإحياء الحضاري للأمة من قبل الأستاذ فتح الله كولن، فإنه في العمق يمثل قراءة جديدة أبرزُ معالمها المنهاجية الخروجُ من أسر العقلية التجزيئية التي دمرت القدرات التصورية والمنهجية للعقلية الإسلامية، كما يتجلى ذلك في خريطة تيارات ومدارس الفكر العربي الإسلامي إلى رحاب الرؤية الكلية الشمولية التي تمتزج فيها مختلف الأبعاد العقدية بالمقاصد الوجودية لحركة العقل الإنساني في التاريخ البشري.

ولذلك، فإن أول سؤال يفرض نفسه علينا في إطار منهجية قراءة هذا المؤلف، تحديد مجال انتمائه بحكم أن هذا سيساعد الباحث والدارس على استقراء الأصول المشكلة لفلسفة الكتاب، ضمن الإطار العام للمدرسة الفكرية الموجهة والمحددة لأطروحة المؤلف.

التربية العمرانية وصناعة الإنسان

لعل أول ملاحظة نسجلها، كون هذا الكتاب ينتمي لما يمكن تسميته بالمدرسة الحضارية التي تنطلق من الرؤية الشمولية في مجال البناء الحضاري للأمة الإسلامية. هذه الرؤية التي كما لا تفصل العقيدة عن البناء التربوي للإنسان، فإنها لا تفصل الفاعل البشري عن وظيفته الرسالية ومهمته العمرانية. وهو ما يفسر الحضور القوي للعقيدة والتزكية والعمران في هذا المؤلف، لطبيعة نظرة هذا الفيلسوف الرباني العارف بالله لقضايا البناء الحضاري. هذا الحضور الذي تعكسه الحقول المعرفية التي يتضمنها المؤلَّف والتي جاءت متنوعة تنوع مجالات الإحياء الحضاري للأمة، سواء تعلق الأمر بالمحور الخاص بسلطنة القلوب الذي تطرق فيه الأستاذ فتح الله كولن لقضية مركزية، وهي كيفية إعادة صناعة الإنسان الموصول بالله تعالى، المتحقق بالطاقة الروحانية التي تعطيه القوة اللامتناهية؛ للوصول إلى مقامات التخلق بالكمالات النورانية للنموذج النبوي عليه الصلاة والسلام، أو تعلق بالمحاور الأخرى.

هذا الاقتداء يتحول إلى روح أخلاقية واجتماعية تنعكس كليًا على شبكة العلاقات المجتمعية محطِّمة الصور التقليدية لمفهوم العوالم الروحية والإيمانية، وكأنها عوالم نظرية تجريدية لا علاقة لها بفعل البناء الحضاري والإنجاز العمراني. وهذا التصور الكلي لموقع التربية الروحية في الصناعة الحضارية، يحسب للأستاذ فتح الله كولن في

تتخذ الثقافة الإسلامية في منظور أستاذ فتح الله كولن شكلاً معرفيًّا جديدًا ضمن خريطة الأنماط الثقافية؛ فهي ثقافة مؤصَّلة على الدين، ولكنها مرتبطة بقدرة العقلية المؤمنة على الإبداع والإنتاج.

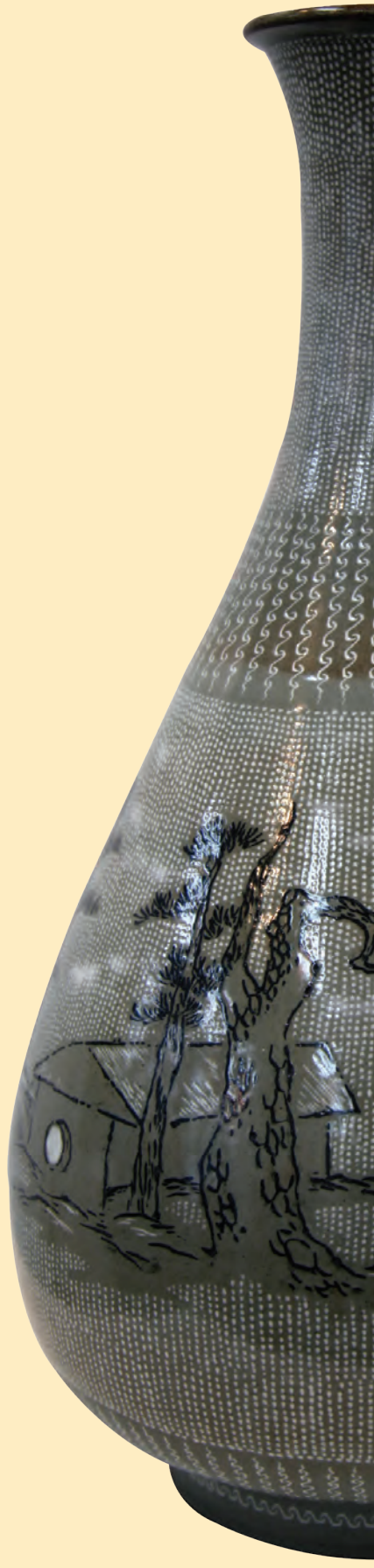

مجال التجديد الديني، خصوصًا أمام هيمنة مدارس كلامية حولت العقيدة إلى مباحث نظرية لا زالت تتخاصم حول العلاقة بين الذات والصفات، وتكفّر المؤمنين، وتبدّع المخالفين، دون أدنى اعتبار للعلاقة التفاعلية بين الاعتقاد والصناعة الحضارية للأمة. وهو ما يعبر عنه الأستاذ كولن بضرورة إعادة تربية الأمة تربية عمرانية لتعيش التدين باعتباره حالة إنسانية وحضارية ترتقي بالذوق الجمالي للأمة، ليصبح التدين نورًا يفيض على الإنسانية جمالاً عرفانيًّا وكمالاً معرفيًّا وشوقًا روحيًّا وعشقًا إلهيًّا.

لغة الدموع والبكاء

والغريب في الأمر أن الانتماء العرفاني للأستاذ كولن كان بالإمكان أن يحصره في عالم الذوق ومجال الأصول الصوفية الخاصة، ولكن الصدق مع الله في مجال التنظير الحضاري للأمة، أوصله إلى مقام الفتح الرباني. هذا المقام كما تجلى في شخصيته بخلو كتابه من الدعوة لطائفة معنية أو لإيديولوجية دينية أو لطريقة خاصة، ترفعًا عن الأمراض النفسية التي تصيب المنظّرين والمفكرين والتي يسميها أهل الله بالموانع، تتجلى أيضًا في لغة الحكمة التي يكتب بها الأستاذ فتح الله كولن، لدرجة يخيل للقارئ -وهو يقرأ هذا الكتاب- بأن اللغة التي كتب بها هي أصلاً لغة الدموع والبكاء.. ولولا القوانين المتحكمة في عالم الكتابة، لانفجر للطاقة الروحانية التي يختزنها صدر المؤلف، والتي يصرّفها كتابة للتنفيس المعرفي عن عمق معاناته وألمه للوضعية المأساوية للأمة التي من المفروض أن تكون أمة شاهدة على الناس. وهو ما يترجمه المبحث الثاني الخاص بتفصيل قواعد البناء الروحي، لتحريرها من الهزيمة النفسية والإعاقة الحضارية والعطالة الوظيفية، حتى تتمكن من اكتشاف روحها الحضارية لتحويلها إلى حالة وجدانية تصبّ في بحر يقظة الأمة للاستحالة المساهِمة في الحضارة الإنسانية، ببناء النموذج الإسلامي الذي يعكس عظمة هذا الدين الذي جاء بمقصد تقديم الأمة الخيريةَ للعالم، لتكون الأمة الحاملة لقيم السلام والمحبة والتعايش على أرضية الكلمة السواء.

وصدق ربنا الكريم وهو يبين لنا هذه الجدلية بين الارتقاء لمقام الكونية الحضارية، وبناء النموذج العالمي للشهادة العمرانية على الناس، بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:١٤٣). وفي هذا السياق، يشير الأستاذ فتح الله لضرورة إعادة قراءة موقع الدين في الحضارة الإنسانية، حتى نخرج من حالة اللامعنى التي جردت العقائد من القداسة، وأضفتها على الفلسفة العقلانية والقيم التحررية. وفي هذه النقطة، يلتقي مشروع الأستاذ

كولن مع الفيلسوف طه عبد الرحمن صاحب مشروع النقد الأخلاقي للفلسفة الغربية التي فصلت الممارسة العقلانية عن الروح الأخلاقية، وأنتجت اليوم ما يسمى بالعبثية والدمار الروحي والتخريب القيمي.

المزج بين الرسالة والأخلاق

ولعل من بين المحاور التي تمثل تجديدًا في مجال الدراسات الحضارية في هذا المؤلَّف، المزج بين إعادة قراءة الرسالة الإسلامية، والممارسة التخلقية القادرة على إنتاج القيم الثقافية. هذه الرؤية التي تعكس بحق عمق الإحساس الجمالي للأستاذ الكريم لطبيعة العلاقة الجدلية بين المرجعية الدينية المؤسسة للشخصية الحضارية للأمة، ونوعية الثقافة التي تشكل مجالاً للقيم التفاعلية الحاملة لمنظومة التواصل النفسي والمجتمعي. وهنا بالضبط يلتقي مشروع الأستاذ كولن مع مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الذي يرابط على تغير إعادة صياغة العقلية الإسلامية صياغة حضارية؛ حتى تكون في مستوى التحديات المطروحة على الأمة، وعلى رأسها تحديات العولمة الثقافية المتمثلة في تفكيك الهويات المرجعية للثقافات الدينية.. غير أن تميز مشروع الأستاذ كولن ينطلق من الاشتغال على العمق المنهجي لصناعة العالم الثقافي، ونعني به الربط النسقي بين العالم الروحي والإنتاج الثقافي، لكون هذا التفاعل بين المنظومة العقائدية والعقلية الإسلامية، هو الذي يولد الطاقة الاجتهادية بما هي عملية تعبدية تعطي للأمة الإسلامية القدرة الإبداعية والاجتهادية اللامحدودة، باعتبارها مرتبطة بالغاية المقاصدية الكبرى للوجود وهي رضا الله ﷻ.

وبهذا الشكل تتخذ الثقافة الإسلامية في منظور أستاذ فتح الله كولن، شكلاً معرفيًّا جديدًا ضمن خريطة الأنماط الثقافية؛ فهي ثقافة مؤصَّلة على الدين، ولكنها مرتبطة بقدرة العقلية المؤمنة على الإبداع والإنتاج.

وبهذا الشكل، يستحيل أن تموت هذه الثقافة الإسلامية، لأنها مرتبطة بالله تعالى، ساجدة في رحاب آيات متنوعة في الكون وهو ما يضفي عليها جمالاً خاصًّا، بل ويعكس نعمة إلهية مفادها أنه على قدر ارتباط الأمة بالله تعالى، على قدر ضمان ارتقائها في مقامات صناعة العقل العابد المتحرر من سلطة آلهة الأرض، وبناء العقل المؤيد بالأنوار الإلهية التي كما تعطيه الطاقة الروحانية للوصول إلى أعلى نقطة عرفانية في الوجود، تعطيه القوة النظرية للاجتهاد المعرفي والتجدد الحضاري. ولذا فإن انتشار شتى أشكال التغريب الثقافي والاستلاب المعرفي، ما هي إلا علامات عن بعدنا عن الله تعالى محبة وشوقًا وعبودية ورقًّا، لأنه لا يمكن للأمة الإسلامية أن تصنع الحضارة باستيراد المنتوجات الثقافية، وفي هذه النقطة يلتقي مشروع الأستاذ فتح الله كولن مع فيلسوف الحضارة مالك بن نبي رحمة الله عليه.

هذا بالنسبة إلى المحور العقائدي والثقافي.. أما بالنسبة للمحور الخاص بفلسفة الصناعة الحضارية فقد أبدع الأستاذ كولن، باعتباره إعادة البناء الحضاري للأمة؛ ما هو إلا ثمرة من ثمرات الممارسة الروحية التي يستحيل أن تصل الأمة في طريق سلوكها إلى الله، إلى مقامات التمكين العمراني وتحقيق شروط الوعد الإلهي، دون الربط بين الطاقة الإيمانية للأمة وبين الفاعلية الحضارية.

ولذا، إذا كانت كل حضارة عاشقة لمثل أعلى يحركها، فإن المثل الأعلى للحضارة الإسلامية هو الله ﷻ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾(النحل:٦٠)، وكلما كانت الأمة في المستوى الإيماني للهجرة إلى الله والتعلق بالله؛ أكرمها الله تعالى بطاقة التقوى التي تشكل الخزان الروحاني الذي لا ينقضي ولا ينضب. وهنا بالضبط تظهر علامات الإبداع العرفاني في المجال الحضاري للأستاذ فتح الله كولن، الذي ينظر بنور الله تعالى لعودة هذه الأمة المباركة لعقيدتها ولحبيبها عليه الصلاة والسلام؛ لكي تتخلق بصفات الله تعالى، بما هي صفات جلالية وجمالية تنعكس روحانيًّا وإيمانيًّا على مجموع الخصائص المميزة للحضارة الإسلامية، التي من المفروض أن تكون حضارة ربانية وشمولية وإنسانية.. إلى غير ذلك من الخصائص العقائدية التي يتخلق بها المؤمنون العابدون، لتصبح خصائص حضارية، وهذا منتهى الوعي الحضاري لإعادة بناء الأمة بناء عقائديًّا كليًّا وشموليًّا. ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل / المغرب.

عائشة صابر المشرفي*

جامع ومدرسة السلطان حسن

رمز التسامح والإخاء

يعدّ جامع السلطان حسن واحدًا من أهم المساجد الأثرية الشهيرة بالقاهرة؛ حيث يعرف بأنه درة العمارة الإسلامية في الشرق، كما يمثّل مرحلة نضوج العمارة المملوكية، كما تعد مدرسته من أهم المدارس التي بنيت في الفترة الإسلامية. كان لهذه المدرسة قيمة كبيرة جدًّا في التاريخ، فقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت من مدارس العلم المشهورة، حتى قالوا عنها: "لا يعرف ببلد من بلاد الإسلام، ولا معبد من معابد المسلمين، يحاكي هذه المدرسة في كبرها وحسن هندامها".

يقع هذا المسجد في حي القلعة بالقاهرة، ويتميز معماره بالجمع بين قوة البناء وعظمته، ودقة الزخارف البديعة التي يشتمل عليها.. وقد أثنى على بنائه وروعة تصميمه عدد كبير من المؤرخين وعلماء الآثار

والرسامين العالميين. بدأ بناؤه في عهد السلطان الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون المملوكي في مارس عام ١٣٥٧، واستمر العمل فيه ثلاث سنوات متصلة، وتوفي الناصر حسن قبل أن يتم بناؤه، فاستكمله بعده الأمير بشير آغا وتم سنة ١٣٦٣م. تحدثت عن جمال معماره ودقة تصميماته مراجع كثيرة، لكن أهم شيء يلفت النظر في هذه الدرة المعمارية، الأدوار الاجتماعية والخدمات المدنية التي نيطت به، وكذلك ما أسهمت به نشاطاته في نشر قيم التسامح في المجتمع. فقد كان لهذا المسجد فوائد اجتماعية عديدة. من ذلك:

١– الفائدة العلمية

أ– اشتماله على مكتبة ضخمة: اشتملت مكتبة مسجد السلطان حسن على عدد ضخم من المصاحف، والكتب في الحديث والفقه، وغيره من أنواع العلوم.. يذكر المقريزي أن كتبها –عدا المصاحف– كانت عشرة أحمال وهو عدد ضخم جدًّا من الكتب في ذلك الوقت. وقد كان يستفيد عامة الناس من المصاحف في تلاوة القرآن، ويستفيد طلاب العلم من هذه الكتب التي كانت تتوفر بصعوبة.

ب– اشتماله على أربع مدارس علمية: كان لهذه المدارس مدرسون ومراقبون وطلاب، وكانت لهم رواتب، وكان الطلاب يعطون منحًا للدراسة وخاصة الأيتام. ولا شك أن هذا لعب دورًا اجتماعيًّا مهمًّا في الاهتمام بالمعلمين والاهتمام بالتعليم نفسه، ومنح الفرصة للفقراء وغير القادرين ليحصلوا على التعليم بشكل جيد. يقول حسن عبد الوهاب في كتابه "تاريخ المساجد الأثرية": "قرر السلطان حسن لمدارس المذاهب الأربعة مدرسين ومراقبين، وعين لهم مرتبات، وقرر لكل مذهب شيخًا ومائة طالب، من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون، وعين مدرسًا لتفسير القرآن وعين معه ثلاثين طالبًا، وعين مدرسًا للحديث النبوي ومقرئًا لقراءة الحديث ومعهما ثلاثون طالبًا، ثم عين بالإيوان القبلي شيخًا مفتيًا، وعين مدرسًا عالمًا بالقراءات السبع، وعين اثنين لمراقبة الحضور والغياب أحدهما بالليل والآخر بالنهار".

٢– الفائدة الطبية

من الفوائد الاجتماعية أيضًا لمسجد السلطان حسن، الفائدة الطبية والعلاجية؛ فقد عين السلطان ثلاثة أطباء أحدهما باطني والآخر للعيون، يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوي من يحتاج إلى علاج من الموظفين والطلبة، والثالث جراح.

٣– نشر قيم التسامح في المجتمع

لم يكن مسجد السلطان حسن مسجدًا عاديًّا، بل كان مسجدًا وأربع مدارس للمذاهب الفقهية الأربعة؛ مدرسة للشافعية، وأخرى للحنفية، وثالثة للمالكية، والأخيرة للحنابلة. ولكل مدرسة باب مهيب، عليه لافتة بديعة باسم المدرسة، لتطل الأربعة أبواب على صحن مكشوف يمنح البراح للقادمين ويعدهم بنور العلم وضياء الإيمان. تتجاور المذاهب وأبوابها في المسجد، كما ينبغي أن تكون خارجه في حياة الناس متجاورة متعايشة كل منها يكمل الآخر.. ومن أيٍّ منها يَعبُر

بنيت مدارس المذاهب الأربعة في جامع السلطان حسن على نمط واحد في الشكل والمساحة والتصميم، مما يدل على التساوي في القدر والأهمية، وجميع الطلاب يدخلون إليها من باب واحد، مما يدل على وحدة المدخل مع اختلاف الوسيلة واحترام المختلف.

الإنسان ليسلك طريقه إلى الله مطمئنًّا مليئًا بالسلام الداخلي والتصالح مع الذات.

لم تقتصر تلك المدارس على كونها وجودًا رمزيًّا للمذاهب فقط، بل تُعدُّ كل واحدة مسجدًا صغيرًا لتدريس مذهب بعينه، للأئمة الشافعي، وأحمد بن مالك، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة النعماني. بل أكثر من ذلك، ضم المسجد أماكن لإقامة الوافدين والمغتربين من طلاب المدارس الأربعة، ليتفرغوا تمامًا لدراسة علم تفسير القرآن، والحديث النبوي، وحفظ القرآن الكريم، على يد علماء أجلاء لا يبخلون بعلمهم على أحد.

لقد كان التعصب المذهبي وحمل الناس جميعًا على رأي واحد وفكر واحد، أزمة كبيرة في تاريخ المسلمين، تسببت في صراعات كثيرة وصل بعضها إلى حد التطرف والعنف والإرهاب وتكفير كل أصحاب مذهب لمخالفيهم.. لكن النموذج المعماري والإداري والإجرائي في هذه المدارس الفقهية داخل المسجد، أسهم في نشر قيم التسامح المذهبي بين طلاب العلم والعلماء، الذين هم بالطبع قادة المجتمع ورواده ونخبته المثقفة، الذين يقع على عاتقهم توجيه الناس وإرشادهم.. فالمدارس كلها بنيت على نمط واحد في الشكل والمساحة والتصميم، مما يدل على تساوي هذه المذاهب في القدر والأهمية.

وجميع الطلاب يدخلون إلى هذه المدارس من باب واحد، وفيه دلالة على وحدة المدخل مع اختلاف الوسيلة واحترام المختلف. كما تنفتح هذه الأبواب جميعًا على فضاء مكشوف، حيث يدل ذلك على أنهم جميعًا يتوجهون إلى سماء واحدة، كما يتيح لهم هذا الفضاء المكشوف في الالتقاء سويًّا والتناقش فيما بينهم في مسائل العلم المختلفة.. ولا شك أن مثل هذا النوع من الحوارات، يزيل ما تحمله الصدور من كراهية وبغضاء نتيجة انعزال كل مذهب على نفسه وتحجره على آرائه. كذلك كانت هناك مساواة في الإجراءات الإدارية من حيث عدد المشايخ والإداريين وغير ذلك من الإجراءات. لقد كانت فكرة عبقرية بحق تجسدت في هذا المعمار الفني البديع الذي كتب له البقاء رغم عوامل الزمان المختلفة. وقد كانت هناك جهود لإحياء هذا الدور في العصر الحديث، قام بها المفتي السابق للديار المصرية الدكتور على جمعة، حيث اتخذ من منبر المسجد مكانًا للوعظ والإرشاد، ونشر قيم الدين الصحيحة البعيدة عن الغلو والتطرف. ■

(*) طالبة وباحثة، نظم ومعلومات أثرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
نور الدين صواش

سكرتير التحرير
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني
نور الدين محمد

منسق الاشتراكات والتوزيع
علاء الكوابري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-80

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave.، Clifton، NJ، 07011، USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+2 01094338182

- هل للأديان دور في صناعة الإرهاب **أم إنها ضحية؟**
- كيف يمكن أن يكون الإعلام **فاعلاً إيجابيًّا ضد العنف؟**
- **ما الثغرات الفكرية** التي ينفذ منها الإرهاب؟

وكيف يمكن **التصدي لها؟**

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002

www.souq.com

مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | **مكتبة فكرة ستي ستارز**

حـــراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

لعلنا نؤوب

سنرفرفُ يومًا مثلَكمُ نتجاوزُ بالحبِّ الحُجُـبَا
يتجـلّى اللهُ بـرحمتهِ فيُحيلُ الشّوكَ لنا رُطَبَا
ونؤوبُ لأنفسِنا حتـى نحْييَ ما حقَّ وما وجَـبَا

***

ISSN 2357-0229
80
9 772357 022004
www.hiragate.com